

آمال البنا

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

سعد الدين الشاذلي القائد... الأسطورة



هذا الكتاب يحكى مشوار حياة الفريق سعد الشاذلى - رئيس أركان حرب الجيش المصرى الأسبق وقائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث - الذى لقب بالبطل الأسطورة. لأنه كما كان بطلا فى مواجهة الأعداء فى ميدان القتال .. كان أيضا بطلا فى مواجهة الظلم الذى وقع عليه من الأنظمة المتعاقبة فى وطنه مصر ومحض بطولاته ! ليصبح بذلك أول ضابط مصرى يحمل رتبة الفريق ويزج به فى السجن ظلما وبهتاننا ! فزاده الظلم شهرة على شهرته! وفى كل الحالات - منتصرا أو مهزوما - عاش الفريق "سعد الشاذلى" مشوار حياته الخاصة والعسكرية رجلا فذا .. ورتبت له الأقدار تكريما خاصا فى يوم رحيله؛ فرحل يوم تغيير التاريخ فى مصر وودعه ملايين المصريين بصلاة الغائب فتحول وداعه - الذى تزامن مع يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير - إلى احتفال شعبى كبير! لتؤكد لنا الأيام أن الفريق "سعد الشاذلى" صورة للبطلوة الحقيقية فى أزماته وانتصاراته!



<http://gate.dar-elmarf.com>

٤٠٨٣٨٢/٠١



أقرا

سلسلة ثقافية شهرية

تصلر عن دار المعارف

[٧٦٦]

رئيس مجلس الإدارة

كمال محجوب

رئيس التحرير
حمزة عبد الصادق
مدير التحرير
عصام عبد الجليل

هيئة التحرير
ياسر محمد على
على محمد حاج
نرفانا محمود
د. أحمد عفيفي
سحر حسن
رشا رأفت

مدير تنفيذي
محمد البحيري

مدير فنى
أمانى والى
عصمت أحمد

مشرف فنى
شريف رضا
تصميم الغلاف
أيمن القاضي

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ - E-mail: maaref@idsc.net.eg

آمال البنا

الفريق سعد الدين الشاذلي
القائد الأسطورة



<http://gate.dar.elmarf.com>

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها،
لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر
الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون
إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا،
وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من
الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى
وأخصب من الحياة العقلية التي نعيشها.

طه حسين



إهداء

إلى شعب مصر العظيم أُهدى هذا العمل الوطنى تحيةً إلى
واحدٍ من أبطال مصر الأفاضل.. البطل الفريق سعد الدين الشاذلى.
آمال البنا

تنويه

الوقائع التي وردت بالكتاب مأخوذة من روايات أسرة الفريق الشاذلي (كريماته وأحفاده) ، وروايات لبعض ضباط القوات المسلحة ممن عاصروا الفريق «سعد الشاذلي» وعملوا تحت قيادته. كما تم توثيق الأحداث بمادة صحفية أرشيفية تتناول تغطية الأحداث الهامة في حياة الفريق «الشاذلي» ، بمراجعة اللواء د/ إبراهيم شكيب كما شارك في المراجعة التحريرية المهندس/ وائل صلاح حسين أما صور الكتاب فمهداة من أسرة الفريق الشاذلي وبعضها من الأرشيف الصحفي. ولم يرد في هذا الكتاب ما يُعد من الأسرار العسكرية المحظور نشرها.

آمال البنا

سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى

- ولد الفريق سعد محمد الحسينى الشاذلى فى إبريل ١٩٢٢م الموافق ٦ ربيع الأول ١٣٣٢ هجرية فى قرية شبراتنا - بسيون - بمحافظة الغربية.
- اسم الشهرة / سعد الدين الشاذلى.
- تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤١م .
- خدم فى الحرس الملكى برتبة ملازم أول فى الفترة من ١٩٤٣م حتى ١٩٤٩م ، شارك أثناءها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ضمن سرية من الحرس الملكى بأمر من الملك فاروق فى ذاك الوقت.
- شارك مع الضباط الأحرار فى التحضير لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.
- مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلات فى مصر من ١٩٥٤م حتى ١٩٥٩م وشارك خلالها فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.
- قائد أول قوات عربية موحدة فى الكونجو ، ضمن قوات الأمم المتحدة خلال عام ١٩٦١م.
- عمل ملحقا حربيا لمصر فى لندن من ١٩٦١م حتى ١٩٦٣م .
- قائد لواء مشاة فى حرب اليمن من ١٩٦٥م حتى منتصف ١٩٦٧م.
- قائد قوات المظلات والصاعقة من ١٩٦٧م حتى ١٩٦٩م.
- قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية من ١٩٧٠م إلى منتصف ١٩٧١م.
- تولى رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية من ١٩٧١م حتى ١٩٧٣م فى عهد الرئيس أنور السادات وكان الشاذلى هو العقل

المدير لخدمة العبور في حرب أكتوبر ١٩٧٣م فأطلقوا عليه «بطل أكتوبر».

• اختلف أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م مع السادات حول خطة مواجهة ثغرة الدفرسوار فأبعده عن مصر وعينه سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة في لندن خلال عامي ١٩٧٤م و ١٩٧٥م.

• عمل سفيرا لمصر في البرتغال لمدة ثلاث سنوات في الفترة من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م سطر خلالها أشهر كتبه «مذكرات حرب أكتوبر» وأصدرت السلطات المصرية ضده حكما غيابيا بالسجن ثلاث سنوات ظلما بتهمة إفشاء أسرار عسكرية في كتابه.

• أحيل للمحاكمة بتهمة نشر كتاب مذكرات أكتوبر بدون موافقة مسبقة، وإفشاء أسرار عسكرية في الكتاب، وأنكر الشاذلي التهمة الثانية لأنها كانت أسرار حكومية وليست عسكرية ومع ذلك حُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

• عاش في الجزائر قرابة أربعة عشر عاما منذ ١٩٧٨ حتى ١٩٩٢م وكان للفريق الشاذلي هناك أنشطة ثقافية ما بين إلقاء محاضرات وعقد مؤتمرات كما أنشأ جريدة الجبهة في الجزائر، واقتنى هناك مكتبة تتجاوز نحو ٥٠٠ كتاب تضمنت عناوين في كافة المناحي.

• عاد إلى مصر في مارس ١٩٩٢م في عهد الرئيس حسني مبارك لينفذ عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات بدون إعادة للمحاكمة بسبب إصداره مذكراته عن حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقد أثارَت قضيته كافة

منظمات حقوق الإنسان والنفو الدولية وتدخلوا للدفاع عنه ، وتم تخفيف العقوبة بعد تطبيقها إلى عام ونصف العام ، ليصبح الشاذلى أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى يحمل رتبة فريق وتطبق عليه عقوبة السجن .

- من أشهر مؤلفاته «مذكرات حرب أكتوبر» ، «٤ سنوات فى السلك الدبلوماسى» ، «الخيار العسكرى الاستراتيجى» ، «الحرب الصليبية الثامنة» .

- رحل عن دنيانا عن عمر يناهز ٨٩ عاما وودعته مصر فى يوم تاريخى إبان ثورة ٢٥ يناير فى ١١ فبراير ٢٠١١م متزامنا فى نفس يوم تخلى الرئيس مبارك عن منصب رئيس الجمهورية وتنحيه عن الحكم .

- منحته مصر وسام «نجمة الشرف العسكرية» بعد رحيله فى ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر .
- وافق المسئولون - فى نفس العام ٢٠١١م - بعد رحيله على نشر كتابه «مذكرات حرب أكتوبر فى مصر» ، الذى كان ممنوعا من التداول فى مصر من قبل .

- فى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م . (وكان ذلك آخر تكريم من مصر لابنها البطل سعد الشاذلى حتى صدور هذا الكتاب) .

• أهدت السيدة (شهدان الشاذلى) مذكرات والدها الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر إلى مكتبة الإسكندرية بمناسبة احتفالات أكتوبر ٢٠١٢م.

• أطلقت القوات المسلحة اسم الفريق الشاذلى على المحور الدائرى الذى يربط مدينة العبور بمدينة الحرفيين بالقاهرة.

الفريق «سعد الشاذلى» هو القائد الحقيقى الذى خطط ونفذ العبور العظيم وأدار المعارك فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، إنه أسطورة حاول الحاقدون عليه تشويهها ، غير أنهم فشلوا واختفوا وظل الفريق «سعد الشاذلى» حاضرا بقامته الفذة وبطولاته الإنسانية والتاريخية.

الكاتب الكبير الأديب / جمال الغيطانى

قالوا عنه

• كان رجلا نموذجيا في كل شيء، وصاحب عقلية متفردة في الدقة والانضباط والتفكير المنظم، وكانت له قدرة بارعة على الإقناع تفوق التصور.

المؤرخ العسكري اللواء د. إبراهيم شكيب

• كانت له قدرة خاصة في تحويل أى فكرة إلى واقع، وتحويل الحلم إلى حقيقة فى زمن قياسى وبأقل تكلفة، لكنه كان عنيدا وشديد التمسك برأيه فى كثير من المواقف لثقته الكبيرة بنفسه.

اللواء أشرف راشد

• تميز بالإبداع القيادى فى إدارة الأزمات والطوارئ خاصة بعد نكسة ١٩٦٧م وأثناء حرب الاستنزاف، وصعوده فى الترقى كان لكفاءته النادرة وتميزه.

اللواء جمال مظلوم

• تعرض الفريق «الشاذلى» لظلم عظيم من الأنظمة (السادات ومبارك) وتم إقصاؤه من مصر أرض بطولاته فزاده الظلم شهرة على شهرته وخلده التاريخ.

لواء/محمد التميمي

• إن الإعداد الدقيق غير المسبوق لحرب أكتوبر ١٩٧٣م يحسب للفريق الشاذلى، ولن يغفل التاريخ دوره العظيم فى نصر أكتوبر المجيد. الفريق يوسف عفيفى

قبل الرحلة

أدوع الأحداث هي تلك التي تصنعها لنا الأقدار، ففي حبكة درامية خارقة تحدث كل الإبداعات الخيالية أخرجت الأقدار اللقطة الأخيرة في حياة البطل الفريق «سعد الشاذلي» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاسة الجمهورية في نفس يوم ١١ فبراير ٢٠١١ م، وأثناء اندلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قدّر الله تعالى مصير الظالم والمظلوم في يوم واحد! وكان يوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير في إسقاط رأس النظام (مبارك) والتي أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشاذلي» إلى احتفال شعبي كبير يليق بمكانته التاريخية في مصر والعالم العربي، شارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلي» الذي عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشتي في هذا المشهد المهيّب أن الملايين التي هتفت مطالبة بسقوط مبارك، هي نفسها التي رفعت أكف الضراعة في نفس اليوم تطلب من الله تعالى في صلاة الغائب الرحمة «للشاذلي» وهو في طريقه إلى مثواه الأخير في الدنيا! فأعادت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتي لقطة أخرى لا تقل عنها روعة لازالت منقوشة في ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وهى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحداً من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائدا عسكريا من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال رأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصرا، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلما وبدون محاكمة وكانت جريمته وطنيته وحبه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

من حقوقه المدنية والقانونية وهو بعيد عن وطنه، تسابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصالح بلادهم لكنه رفضها جميعها لأنه كان يعتز بمصريته ويدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنى كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث، البطل الذى ظلمته الأنظمة وأنصفه التاريخ، وعاش رمزا وطنيا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى ستأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشاذل بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أسرته ، وأسطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة سجنه لأعرف كيف كان بطلا فى غربته ومحبسه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقة، ولأجعل من أوراق هذا الكتاب تحية إلى ذكره وبقائه على قبره اعتذاراً عما لاقاه من بطش وظلم فى وطنه وموطن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شرف وطنى أفتخر به. وسيظل اسم الفريق «سعد الشاذلى» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى سجل التاريخ العسكرى العربى ودرة فى جبين مصر.

آمال البنا

طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة

أن يللم الليل عباته المظلمة ليفسح لخيوط النهار الجديد أن **قبل** تضىء قريته «شبراتنا»، كان «سعد الشاذلى» تلميذ الابتدائى ينتظر زملاء دراسته على قارعة الطريق، فإذا ما اكتمل عددهم تولى قيادتهم إلى حيث مدرستهم الابتدائية فى «بسيون» التابعة لمحافظة الغربية والتي كانت تبعد عن بلدتهم بما يزيد على ٧ كيلومترات كان عليهم أن يقطعوها سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا!

وجاء اختيار الصغار لزميلهم «الشاذلى» للقيام بهذه المهمة لمهارته فى التقدير الدقيق للمسافات وتحديد الزمن اللازم لقطعها بدقة خلال رحلة عناثهم اليومية فى طرق متربة غير ممهدة كانوا يدلفون فيها من طرق ضيقة وقصيرة إلى طرق أطول منها يتبعون «الشاذلى» حتى يصلوا إلى الحقول، وهناك كانوا يسلكون وراءه طريقا مختصرا على أحد جانبيه الحقول وعلى الجانب الآخر قناة ضيقة، يتبعونه فى حذر شديد خوفا من أن تنزلق قدم أحدهم فيسقط فى المياه، وهم يحملون أحلام مستقبلهم البعيد كتبها ثقيلة فى حقائبهم حتى يصلوا إلى بداية الطريق الرئيس المؤدى إلى «بسيون» حيث مدرستهم ليلحقوا بطابور الصباح فى موعده المبكر مع بداية كل يوم دراسى.

ولم يدر «الشاذلى» - الصغير فى هذه السن المبكرة (٨ سنوات) - أن قيادته لرفاقه إلى المدرسة تكشف عن قدراته الفطرية على قيادة المجموعات بمهارة، وشغفه بمواجهة المخاطر وحبّه للمغامرة، وأن ما يواجهه من عناء فى رحلته اليومية من وإلى المدرسة سيكسبه خبراته الأولى فى مواجهة صعوبات الحياة والتدرب على تحديها، حتى تعلم «سعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره أن طريق النجاح محفوف فى أغلب الأحيان بالمخاطر ولا يصلح معه الانسحاب أو التراجع، لأن النجاح فى نهاية كل عام كان جائزة عظيمة تستحق العناء الذى يواجهونه كل يوم.

جاء ميلاد «سعد الشاذلى» فى إبريل ١٩٢٢م، وكانت مصر وقتها تموج بأحداث سياسية كثيرة تحت احتلال بريطانى جاثم على المصريين. وأتاحت الظروف العائلية فى بيت أسرته فرصته للتعرف إلى الأحوال السياسية فى البلاد، فاللقاءات الاجتماعية المتكررة التى كانت تنعقد فى بيت والده «محمد الحسينى الشاذلى» وكان من كبار الأعيان فى بلدته «شبراتنا» كانت تضم بعض أقاربه وأصدقاء والده وأعيان بلدته فى لقاءات ودية أسبوعية منتظمة فيما يشبه المنتدى الاجتماعى، تدور فيه الأحاديث حول الأوضاع السياسية والحراك الثورى الذى كان يدور فى البلاد آنذاك.

وكان «الشاذلى» الصغير شغوفاً بمجالس الكبار مستمعاً بينهم، يلتقط من حواراتهم ثقافته السياسية الأولى التى كانت تنبه حسه

الوطني خاصة بعد معرفته الجذور الوطنية لعائلته، فجده لأبيه كان قد استشهد محارباً مع قوات إسماعيل باشا في السودان، وبعض أقاربه كانوا مع ثوار ثورة عرابي ضد الخديو والإنجليز، فكان لهذا الكشف لجذوره العائلية أثر في تشكيل وجدانه الوطني، لينتقل بمرور الوقت بفكره الجديد إلى عالم الكبار وأحلامهم الوطنية لمصر، فما انقضت سنوات طفولته الأولى بانتهاء دراسته الابتدائية بنجاح إلا وكان قد تعلم من لقاءات الكبار حب مصر ومعنى التضحية من أجلها، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته ينتقل فيها إلى التعليم الإعدادي بالقاهرة بعيداً عن بلدته وأهله، ليصنع نجاحه بنفسه في أول تجربة مع الغربية.

سنة أولى وطنية

في القاهرة هياً له والده حياة طيبة، تسهل عليه غربة صبي ابن الثانية عشرة، وتساعده على النجاح خلال سنوات متتالية في انتظاره كان عليه أن يقضيها في التعليم الإعدادي والثانوي (التوجيهي) بالقاهرة. وساعده ما كان يتميز به من الانضباط والالتزام الجاد في دراسته على تحمل مسؤوليته الدراسية والشخصية بنجاح عاماً وراءه أعوام حتى أنهى تعليمه الإعدادي وانتقل إلى التعليم التوجيهي (الثانوي).

وعلى عكس اهتمامات الفتیان فی هذه المرحلة المبكرة من أعمارهم ، كان «الشاذلی» شغوفا بالقراءة ینفق مصروفه الشخصی فی شراء الكتب البسیاسیة لیعكف علی قرائتها ، وینهل من مؤلفات الكاتب (محمد حسین هیکل) ومقالاته البسیاسیة فی مجلة مصر الفتاة ، ومقالات الكاتب إحسان عبد القدوس فی مجلة روزالیوسف الی كانت توصف وقتها بالمقالات الناریة لما كان لها من تأثیر فی إشعال وجدان المصریین وتبصیرهم بما یدور فی وطنهم من أحداث ، و غیرها من القراءات الی أضافت إلی شخصیة «الشاذلی» نضجا مبکرا ، وأشعلت وجدانه الوطنی تجاه الأحوال البسیاسیة الی كانت علیها مصر آنذاك عام ١٩٣٦م .

وفی إحدى الإجازات الی كان یترقبها الطلاب المغتربون عن بیوت أسرهم ، عاد «الشاذلی» من القاهرة لیقضى إجازته الأسبوعیة بین أهله وأسرته فی بلدته «شبراتنا» لیجد مفاجأة فی انتظاره .



مصر فى قلوب المصريين

لم ينس «سعد الشاذلى» طالب الثانوى تلك الإجازة التى عاد فيها إلى «شبراتنا» سعيدا يحمل إلى أسرته نتاج قراءاته وثقافته السياسية الجديدة التى ستفسح له مكانا فى مجالس الكبار ، وبينما كان عقله يسترسل فى توقعاته وهو يسرع الخطى نحو بيت أبيه إذا بالبيت وقد أضيئت أنواره واكتظ بالناس فى مظهر ينبئ بانعقاد المنتدى الاجتماعى الأسبوعى فأسرع الخطى ليفسح لنفسه مكانا بين الحاضرين. ولما وصل إلى البيت وجد «عبد السلام باشا الشاذلى» ابن عم والده الذى كان يشغل منصب مدير مديرية البحيرة (محافظ البحيرة) يتوسط الحاضرين! وكان رجلا مهيبا اشتهر بين أهله وعزوته بمواقفه الوطنية المشرفة، وكان بحكم عمله يحمل فى كثير من الأحيان أخبارا سياسية تهم الجميع، مما أضفى أهمية لوجوده فى منتدى بيت «الشاذلى» فى ذاك اليوم. كان «عبد السلام باشا» يروى فى زهو عن جراته فى تحدى السلطات الحاكمة ورفضه الاستجابة لتنفيذ ما يتعارض مع مصلحة وطنه مصر، والكل يستمع إلى روايته فى انتباه شديد ويشعرون بالفخر لشجاعته ووطنيته، وهم يتطلعون إليه بطلا من عائلة الشاذلى يدافع عن أهل وطنه فى جراءة وتحد، وكانت مثل هذه المواقف تصيب «سعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره بالإبهار وتنبت فى عقله حلم

البطولة. ولكن للأسف لم تدم فرحة آل الشاذلى لساعات حتى أتت رياح الأحداث بما لا يشتهيها أهل «شبراتنا» خاصة عائلة الشاذلى ، عندما دفع «عبد السلام باشا الشاذلى» ثمن جراته فى الدفاع عن الحق وتحديه للسلطات الحاكمة التى أحالته فى اليوم التالى إلى المحاكمة التأديبية. وكانت الصدمة كبيرة على أهل «شبراتنا» بصفة عامة ، وعلى عائلة «الشاذلى» بصفة خاصة ، إذ كانوا يخشون مما تحمله الأيام القادمة من توقعات لعقوبات تؤثر على منصب «عبد السلام باشا» فى عمله ، الذى كان يُعد فى عيون الجميع بطلا من قريتهم صنع بشجاعته مثلاً أعلى لشباب «شبراتنا» وعزوة وطنية عاشوا فى ظلها.

وانتهت إجازة «سعد الشاذلى» دون أن يعرف بنتيجة المحاكمة التأديبية لعمه ليعود إلى دراسته فى القاهرة قلقاً حول المصير المجهول الذى ينتظر «عبد السلام باشا» ، كل ذلك كان يدفع الطالب «سعد الشاذلى» أن يعبر عن إحساسه وغضبه الوطنيه بمشاركته فى مظاهرات الطلبة ضد الاحتلال والسلطات الموالية له حتى أصبحت السياسة هوايته ، وهو يستعجل الأيام أن تمر لتأتيه بالإجازة التى سيعود فيها إلى مجالس الكبار فى بيت والده ليحكى لهم عن دوره الجديد فى مظاهرات القاهرة. ودارت أيام الدراسة دورتها لتأتيه بآيام الإجازة التى كان يترقبها ، وما إن وصل «سعد الشاذلى» إلى بيت والده حتى وجد نفس المشهد ونفس الزحام الذى شاهده من قبل ، جمع من الحاضرين يتوسطهم عمه «عبد السلام باشا» ، هذه المرة كانوا يتفحصون أوراقاً هامة ويتبادلونها بفرحة

فيما بينهم، وعمه يروى لهم مزهوا - كعاداته مفاجآت محاكمته التأديبية. كانت المفاجأة أنه بعد استعراض «عبد السلام باشا» أمام مجلس التأديب للحجج والبراهين التي تؤيد وجهة نظره في انحيازه لصالح بلاده، إذا بالمجلس التأديبي يبدي إعجابه الشديد بآرائه، ويشيد بوطنيته حتى أعلن المجلس التأديبي اقتناعه الكامل بوجهة نظر «عبد السلام باشا» ! ولم يكتف المجلس بتبرئته بل ترجم إعجابه بوطنيته في حيثيات الحكم الصادر لصالحه في أوراق رسمية وزعها «عبد السلام باشا» على الحاضرين ليقرواها في سابقة هي الأولى من نوعها وشعور بالفخر يلف الجميع.

الشاذلى يعيد إلى عائلته شهرتها العسكرية

كان لهذه الواقعة أثر عظيم في نفس «سعد الشاذلى» ولم تفلح السنوات التالية التي قضاها في دراسته الثانوية أن تمحو تأثير هذه الواقعة من ذاكرته، وتمنى وقتها لو يُسعده المستقبل بمنصب كبير يقابل موقع عمه «عبد السلام باشا» لينال شرف البطولة في نصره وطنه وينال من ورائها شعبية خاصة بين أهل بلده وعشيرته في «شبراتنا». ونجح بالفعل الطالب «سعد الشاذلى» أن يحقق أول خطوة لطموحاته بنجاحه في الحصول على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ليفسح بنجاحه مكانا مميزا في قلب والده الذى تحمس لالتحاقه بالكلية

الحربية مصنع الرجال وطموح الأبطال، يدفعه الأمل فى أن يصبح ابنه « سعد » يوما ما واحدا من هؤلاء الأبطال العسكريين الذين يغيرون ببطولاتهم تاريخ الشعوب والبلاد، وترجم والده فرحته بإسراعه بتسديد مصروفات الالتحاق بالكلية الحربية والتي كانت مرتفعة فى ذلك الوقت، مكافأة لابنه «سعد» الذى أعاد لعائلته صلتهم بالحياة العسكرية من جديد، والتي كانت قد انقطعت بانكسار ثورة عرابى وسقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى. وأصبح «الشاذلى» أصغر طلاب الكلية الحربية فى ١٩٤٠م وعمره ١٧ عاما. ليقضى عاما ونصف العام فى دراسته بالكلية الحربية حتى تخرج منها فى عام ١٩٤١م برتبة ملازم.

ونجح الملازم «سعد الشاذلى» أن يحظى بشهرته العسكرية بعد تخرجه عندما وافته الفرصة التى شارك فيها مقاتلا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م مع القوات المصرية والبريطانية فى مواجهة القوات الألمانية فى الصحراء الغربية بمصر، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية فى هذه المواجهة بالانسحاب شارك «الشاذلى» مع الضباط والجنود فى تدمير المعدات المتبقية فى وجه القوات الألمانية المتقدمة آنذاك، وكان لهذا الحدث صدى كبير فى الجيش المصرى جعلت «الشاذلى» يضع أقدامه على أول طريق شهرته العسكرية مع أول حرب شارك فيها بعد التخرج، فى أول تواجد له فى ميدان القتال. فماذا كان ينتظر الملازم «سعد الشاذلى» فى مشواره العسكرى القادم؟

«الشاذلى. ضابطا بالحرس الملكى

تعتبر

مرحلة الأربعينيات من المراحل الهامة فى الحياة العسكرية والخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى»، ففى عام ١٩٤٣م التحق بالحرس الملكى - مشاة - منتدبا من القوات المسلحة مع النخبة المتميزة من الضباط المكلفين بحماية (الملك فاروق) وحماية القصور الملكية والحفاظ على أمنها فى الفترة من ١٩٤٣م : ١٩٤٩م حدث خلالها الكثير من الأحداث السياسية تزامنت مع تطورات أخرى فى الحياة الخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى».

فعلى الجانب الشخصى وتحديدا فى منتصف الأربعينيات بدأ «الشاذلى» حياته الزوجية مع زوجته (زينات السحيمى) التى تنحدر من عائلة عسكرية، فوالدها هو متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا لكلية الحربية آنذاك، وأشقاؤها الضباط محسن متولى فى سلاح الحدود، و فايز متولى بسلاح الإشارة، وسعد متولى الذى أصبح كبير اللياوران فيما بعد.

بدأ الملازم أول «سعد الشاذلى» حياته الزوجية بمسكنه بحى العباسية، مجاورا زميله الضابط جمال عبد الناصر فى نفس العمارة التى ضمت أسرتيهما معا، وأنجب «الشاذلى» خلال السنوات الأولى

من زواجه طفلة الأولى (شهدان) وبعد ثلاث سنوات جاءت (سامية) وفرح «الشاذلى» بزيادة عدد أسرته بزهرتى عمره (شهدان وسامية). أما زوجته (زينات) فكانت تتمنى لو أسعدتها الأيام بإنجاب الولد، وكانت تخشى ألا تحقق لها الأيام أمنيتها، ودفعها الأمل فى تحقيق أمنيتها إلى تكرار محاولة الإنجاب للمرة الثالثة، واختارت للمولود المرتقب اسم (طارق) وأعدت ملابسه وترقيبت وصوله حتى جاءت اللحظة المرتقبة.

وبينما كان «الشاذلى» يستقبل المهنيين بميلاد مولوده الثالث كانت زوجته «زينات» تبكى حظها العثر الذى لم يأتها بمولودها طارق، وجاءت بدلا منه مولودتها (ناهد) ليرتفع بمجيئها عدد بنات «الشاذلى» إلى الرقم ٣ (شهدان وسامية وناهد)، وتجاوز «الشاذلى» الأب بفرحته وفكره الواسع كل العادات القديمة فى تمييز الصبيان عن البنات، وحاول أن يساعد زوجته فى التغلب على حزنها، فوعدها أن يُنشئ بناته تنشئة خسنة ويقوم على إعدادهن إعداد الرجال، حتى تحظى زوجته فى المستقبل بثلاث نساء يحملن صفات الرجال التى تمنتها فى الولد الذى لم تسعدها الأيام بإنجابه، فحرص «الشاذلى» على تدريب بناته على الاعتماد الكامل على أنفسهن فى مواجهة صعوبات الحياة ليسلكن مسلك الرجال عندما يشتد عودهن للحياة.

وفى منزلهم بالعباسية عاشت أسرة «الشاذلى» سنواتها الأولى، وربطت بينها وبين أسرة جارهم الضابط (جمال عبد الناصر) الذى كان

يقطن الطابق الأعلى علاقات طيبة بعدما تقاربت أعمار الصغار (أبناء الشاذلى وأبناء عبد الناصر) وتزاملوا فى دراساتهم فى مراحل تعليمهم المختلفة وزادت روابط الجيرة من توطيد العلاقات بين الأسرتين.
(رواية شهدان الشاذلى)

الشاذلى يكشف أسرار حرب فلسطين

فى القصر الملكى، حيث عمل الملازم أول «سعد الشاذلى» وتحديدًا فى نوفمبر ١٩٤٧م، كانت أجواء القصر يشوبها بعض القلق والتوتر بعد إعلان الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين، وكان لهذا الإعلان وقع المفاجأة الصادمة لكل الدول العربية ومصر، فبادر الملك فاروق بالدعوة لعقد مؤتمر عربى يضم ملوك ورؤساء الدول العربية فى منطقة (أنشاص) بمصر، واتفقوا فى المؤتمر على إرسال كتائب عربية موحدة من جيوش الدول المشاركة (العراق، الأردن، سوريا، السودان، لبنان، مصر، اليمن، وباقى الدول العربية) لإرسالها لقتال اليهود فى فلسطين تعبيرا عن رفضهم لقرار التقسيم اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٤٨م، ووقتها وحدثت حرب فلسطين بين العرب فى أروع صور الوحدة وراء هدف واحد هو القضاء على اليهود فى فلسطين، وتصورت القيادات العربية واهمة فى ذاك الوقت بحساباتها النظرية، أن النصر للعرب لا محالة، إذ كانوا يعتقدون وقتها بأن اليهود فى فلسطين مجرد عصابات يمكن للجيوش العربية إبادتها عند أول مواجهة وبأدنى خسائر.

وفور علم الملازم أول «سعد الشاذلى» بقرار مشاركة مصر فى حرب فلسطين، أسرع بمقابلة عاجلة مع (القائمقام) العقيد حلمى عبد الرحمن رئيس الحرس الملكى، ولكن لم تمض من المقابلة إلا لحظات حتى ارتفع صوت العقيد حلمى عبد الرحمن ينهر «الشاذلى» ويعنفه، فخرج «الشاذلى» من مكتبه وأمارات الغضب تعلو وجهه فما الذى حدث أغضب الاثنين الشاذلى والعقيد حلمى؟

كان العقيد حلمى عبد الرحمن قد فوجئ بأن «الشاذلى» بدافع الحمية العربية طلب إعفاءه من الخدمة فى الحرس الملكى ليذهب متطوعاً مع القوات المصرية للحرب فى فلسطين، فرفض العقيد حلمى مطلبه وعنفه خوفاً عليه، إذ كيف لضابط فى مكانه المميز بالحرس الملكى أن يطلب الاستقالة من موقعه ليواجه أهوال الحرب والموت المحقق وسط نيرانها فى فلسطين والتى لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى.

فأصاب «الشاذلى» الإحباط، بعد رفض مطلبه الذى أضع منه فرصة بطولته المرتقبة التى كان يتمنى أن يحققها فى فلسطين، لكنه فوجئ بعد هذه المقابلة بساعتين بأن رئيس الحرس الملكى يعلن عن موافقة (الملك فاروق) بانضمام سرية من الحرس الملكى إلى الجيوش المصرية المحاربة فى فلسطين فكانت مفاجأة رائعة «للشاذلى» لم يصدق لحظتها أن أمنيته التى فقد الأمل فى تحقيقها منذ ساعات قد عادت لتحقيقه بأسرع مما توقع ! وصدرت الأوامر بتجهيز سرية ملكية متطوعة خلال ثلاثة أيام فقط، وقام الشعب المصرى بتوديعها فى موكب استعراضى

رائع ، جابت فيه السرية الملكية شوارع القاهرة من ميدان عابدين حتى محطة القطار الذى سيقلمهم إلى فلسطين.

أسرار هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين

وفى ميدان القتال هناك فى فلسطين، وأثناء معركة دير ياسين ومعركة نيتا ليم، فوجئ «الشاذلى» والجيوش العربية المشاركة بعدم التكافؤ بين القوات العربية وقوات اليهود، وعكس توقعاتهم اكتشفوا أن جيش اليهود أقوى من الجيوش العربية مجتمعة والتفاوت بينهما هائل فى العدة والعدد، وكانت المفاجأة أشد على «الشاذلى» عندما اكتشف فى ساحة القتال أن ما تعلمه فى الكلية الحربية كان تعليما نظريا على الورق، لم يتدرب فيه على القتال بما يكفى مواجهته لليهود فى هذه المعركة، حتى الأسلحة العربية كانت بدائية مقارنة بأسلحة اليهود، ذلك بالرغم من تميز العرب بسلامح الطيران وافتقاد الجيش اليهودى له، إلا أن التفوق فى هذه الحرب كان لليهود.

وعاد الشاذلى من فلسطين حزينا، يستعيد فى ذهنه تفاصيل المعركة وانشغل عقله بمزيد من التحليل لأسباب الهزيمة التى أرجعها إلى الخبرة القتالية التى اكتسبها جيش اليهود من اشتراكهم مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهدف التدريب العالى فتوافرت لديهم قدرات قتالية عالية لم تتوفر لجيش العرب، فكانوا يستخدمون

نظاما قتاليا منظما لم تتدرب عليه الجيوش العربية من قبل، إلى جانب أسلحتهم ومعداتهم القتالية الحديثة، كما توافرت لهم الدراسة الكاملة الدقيقة لإمكانيات الخصم العربى الضعيف فى ذاك الوقت، لكل هذه الأسباب كان النصر والغلبة لليهود فى حرب فلسطين ١٩٤٨م. إلى جانب أن الدول العربية كانت وقتها تحت الاحتلال الأجنبى الذى وضع قيودا عليها، وانعكست هذه القيود على إعدادها لجيوشها، فأنحصرت مهمة الجيوش العربية داخل بلادها لحماية الحكام والأنظمة الحاكمة فقط ولم تكن مهمتها الحروب مع دول أخرى، وبالتالي لم يتم إعدادها الإعداد اللازم لمثل هذه المواجهات الشرسة فى الحروب، بالإضافة إلى أن الدول العربية كانت تعتمد فى حصولها على السلاح بنسبة كبيرة من السوق السوداء التى كانت تباع مخلفات الحروب أيا كانت حالة الأسلحة المباعة، ولم يكن للمشترين العرب الحق فى تجريب هذه الأسلحة لاختيار الأفضل من بينها، وفى نفس الوقت لم يكن أمامهم بدائل أخرى فكانوا مضطرين لشراء المعروض منها مهما كانت حالته، هذه الأسباب كانت وراء ما أشيع حول الأسلحة الفاسدة التى كان فيها قدر كبير من المبالغة فكيف للعرب بما كانوا عليه أن يأتوا بالنصر فى حرب فلسطين آنذاك؟

وانتهى عمل النقيب «سعد الشاذلى» فى الحرس الملكى مع نهايات عام ١٩٤٩م، ليبدأ مع حلول أوائل الخمسينيات مرحلة جديدة من حياته العسكرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

الشاذلى يرتب مع عبد الناصر لثورة يوليو:

كانت علاقة الجيرة التى جمعت بين «الشاذلى» وعبد الناصر فى عمارة واحدة بحى العباسية بالقاهرة قد قربت بينهما المسافات، وكذا تزاملهما فى التدريس بمدرسة الشئون الإدارية بالقوات المسلحة، واهتمامهما المشترك بالقراءات السياسية لكبار الكتاب . وكانت مصر فى هذه الآونة تموج بأحداث عنيفة منها حريق القاهرة، الذى أدى إلى زيادة العنف والاضطراب فى الشارع المصرى وأشعل بدوره الغضب فى نفوس المصريين، وأصبحوا رافضين ما يدور فى وطنهم من ظلم وفى نفس الوقت غير قادرين على تغييره، و كان «الشاذلى» وعبد الناصر يعيشان نفس مشاعر الغضب التى كانت تعيشها مصر كلها، وبسبب الثقة التى كانت بين «الشاذلى» وعبد الناصر صارحه عبد الناصر بأنه يرتب مع ضباط التنظيم السرى (تنظيم الضباط الأحرار) لثورة قد تكون سببا فى تغيير التاريخ فى مصر، فتحمس «الشاذلى» للانضمام إليهم وكان يحضر اجتماعاتهم السرية ويرتب معهم خطوات تنفيذها، إلا أن ظروفه الدراسية وقتها حالت دون مشاركته فى قيام ثورة يوليو بسبب الدورة التدريبية التى كان يتلقاها فى كلية أركان حرب وللأسف تزامنت مع قيام الثورة.

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت مصر عهدا جديدا، ووقتها طلب عبد الناصر من «الشاذلى» أن يتولى رئاسة جهاز المخابرات، لكن

«الشاذلى» رأى أن موقعه فى الجيش كان يناسب طموحه العسكرى،
وكان حبة للخدمة فى صفوف الجيش لا يعادله أى منصب.
وانتقل كل منهما (عبدالناصر والشاذلى) بأسرته إلى مسكن آخر
تاركين وراءهما ذكرياتهما التى جمعتهما فى حى العباسية، وظلت
صداقتهما ممتدة تحمل فرص تعاون مرتقبة فى المستقبل القريب.



الشاذلى قائدًا لكتيبة المظلات

كان الرائد « سعد الشاذلى » طموحا فى عمله ، يتمتع بعقلية إبداعية متفردة كانت تقوده دائما إلى التميز ، لهذه الأسباب جاء ترشيحه للسفر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٣م ليتلقى هناك دورة تدريبية فى المظلات لم يسبقه إليها إلا الضابط حسن فهمى عبد المجيد ، فجاء هذا الاختيار موافقا لطموحات « الشاذلى » فى التعرف إلى المجتمع الغربى ، وهناك لم يجد صعوبة فى التكيف مع المجتمع الأمريكى إذ كان وقتها مجتمعا بسيطا يستوعب الغرباء مما سهل على « الشاذلى » أن يقطع رحلته التعليمية بنجاح - دورة القفز بالمظلات - التى وافقت شغفه بالمخاطرة وركوب الخطر ، فالقفز بالمظلات مخاطرة جسيمة والمهمة فيها انتحارية يهبط فيها فى عمق أرض العدو لتنفيذ مهمة تدميرية هناك مدتها ٢٤ ساعة فقط ، ويعتمد خلالها على نفسه اعتمادا تاما حتى تلحق به قواته البرية ، وقد يتعرض خلال مهمته لمخاطر كثيرة ، فقد يتم ضرب الطائرة التى سيهبط منها قبل هبوطها فى أرض العدو ، وقد لا يتمكن من فتح المظلة أثناء هبوطها ، وقد يتأخر وصول القوات البرية إليه فلا تصل فى الوقت المناسب فتنفذ منه الأغذية والذخيرة فيواجه وحده مصيرا مجهولا على أرض العدو ، وقد يقع فى

يد العدو فيأسره أو يقتله، وغيرها من المخاطر التي ترفع نسبة المخاطرة في سلاح المظلات، لذا كانت بورة المظلات تجربة مثيرة للرائد «سعد الشاذلي» في ذلك الوقت. بعدها عاد «الشاذلي» من أمريكا ليؤسس أول مدرسة للمظلات في الجيش المصري وتولى قيادة أول كتيبة منها في عام ١٩٥٤م.

الأقدار تفوت على الشاذلي، فرصة القفز بالمظلات؛

وتوالى الأحداث لتواجه مصر حرب العدوان الثلاثي من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل في عام ١٩٥٦م التي جاءت رد فعل مباشر لقرار تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م انتقاماً من عبد الناصر. وكان المقدم «سعد الشاذلي» وقتها قائداً لكتيبة ٧٥ مظلات، وصدرت الأوامر العسكرية أن يستعد سلاح المظلات للهبوط في سيناء خلف العدو وقت الفجر، وبينما كان «الشاذلي» يستعد للإقلاع سبقته قوات العدو وضربت مطاراتنا المصرية بما فيها الطائرة التي كانت ستحمل «الشاذلي» إلى أرض العدو لتنتهي بذلك مهمته قبل أن تبدأ، وأصبح لزاماً عليه أن ينضم إلى سلاح المشاة ليتحول بوره إلى صد العدو ومنع دخوله مدينة السويس.

وبانتهاء حرب ١٩٥٦م انتهت مرحلة هامة من الحياة العسكرية للمقدم «سعد الشاذلي» ليبدأ بعدها مراحل أخرى جديدة أكثر أهمية

تزامنت مع التغييرات فى العلاقات السياسية بين مصر والدول العظمى. فبعدما أدرك الرئيس عبدالناصر أن حصوله على الأسلحة لن يتم من خلال أمريكا حليفة إسرائيل، اضطر إلى الاستعانة بالاتحاد السوفييتى فى تسليح الجيش المصرى وتدريب قادته تنفيذاً لسياسة تنويع مصادر الأسلحة.

بعثة دراسية للشاذلى فى روسيا

تقرر سفر المقدم «سعد الشاذلى» فى ١٩٥٨م فى بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفييتى لدراسة العلوم العسكرية الحديثة هناك ليعكس التعاون العسكرى الجديد بين مصر وروسيا. فماذا وجد من فرق بين تدريس العلوم العسكرية فى الاتحاد السوفييتى للعرب عنها فى أمريكا؟ يجيب «الشاذلى» عن هذا السؤال فى واحد من حواراته المسجلة فيقول:

«فى دراستى للمظلات فى أمريكا كنت الضابط المصرى والعربى الوحيد بين الدارسين من جنسيات أخرى، وكانت هناك بعض المحاضرات لايسمح لى بحضورها لأنى عربى، بعكس ما حدث مع الاتحاد السوفييتى فكان الفارق كبيراً إذ تعددت بعثاتنا إلى روسيا، وكانت البعثة الواحدة لا تقل عن ١٠٠ دارس مصرى (فصل كامل) وكلهم من القادة العسكريين فى الجيش المصرى، وفى نفس الوقت

كانت مصر تستقبل بعثات الخبراء العسكريين الروس ممن يتولون إعداد قادة الجيش في مصر، وكانت هذه البعثات تعالج مشاكل عليا في تنظيم قواتنا المسلحة بفروعها، وكذلك كانت جدية روسيا في تقديم خبراتها ونظرياتها العسكرية الحديثه يعكس جديتها في مساعدة مصر، ولكن هذه المساعدات كانت تتم كلها في إطار الفكر العسكري المصري والتنظيم المصري وكل ما يتعلق بجيشنا كان مصرية متأثرا فقط بالخبرات والنظريات الحديثة للسوفييت، حتى استطاعت مصر أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة.

هذا على مستوى الحياة العسكرية للشاذلي، ولكن كيف كان يعيش حياته الخاصة مع أسرته في بيته في هذه الآونة؟



ثلاثة رجال فى بيت «الشاذلى»

كانت

الشخصية العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» تنعكس على كل جوانب حياته حتى فى بيته ومع أسرته، فلم ينس وعده لزوجته أن ينشئ بناته الثلاث (شهدان وسامية وناهد) تنشئة خشنة، لتحمل شخصياتهن بعض صفات الرجال عوضاً عن ولد واحد تمتنت زوجته إنجابهُ يوماً ما، فحرص على إعداد بناته للحياة إعداداً خاصاً يسمح لهن باكتساب مهارات مختلفة عن أقرانهن من البنات، فرأى أن تزويدهن بكل المهارات الممكنة سيعينهن على مواجهة الصعوبات التى قد تعترض طريقهن فى رحلة الحياة معتمدين على أنفسهن حتى يكتسبن شجاعة الرجال، فعلمهن الدفاع عن أنفسهن وقت الخطر، وتدريب أحوالهن دون اللجوء إليه حتى فى أبسط الأمور فكان يتخلى عنهن فى مواقف كثيرة فى محاولة لإجبارهن على الاعتماد على أنفسهن دون الاعتماد على رتبته العسكرية لتذليل عقبات قد يتعرضن لها.

وتحكى ابنته شهدان الشاذلى عن علاقة «الشاذلى» الأب ببناته فتقول:

«حدث بعدما تسلمت أختى الوسطى (سامية) شهادتها الإعدادية أن اكتشفت خطأ فى اسمها المطبوع فى الشهادة، فطلبت من والدى

المرافقة بها إلى دورستها ليساعدها في إجراء أعمالها، ثم صرح اسمها في
المدونة ولكن أبى رفض مطلبها وتركها تنهى وحدها الإجراءات
المطروحة التي امتدت لأيام، وكان في إمكانه أن ينهيها من أول يوم
أو استجاب لمطلبها وذهب معها، ولكنه تعمد رفض مطلبها حتى تعتمد
(الأمية) على نفسها في كل شيء.

وحرص منذ طفولتنا الأولى أن يدرينا على التخلي عن مظاهر الحياة
التي في بيئتنا تخلف مسئولياتنا الشخصية كاملة منذ الصغر، حتى
إن المصروف الشهري لكل منا كان يشمل (انتقالات، ملابس، فسيح،
حاجيات الصديقات، مصروفات الدراسة و...) فإذا ما أسرفت
أحدنا في إنفاق مصروفها الشهري، فمالبها وجدها تدبر أحوالها
لأخبر الشهر دون مساعدة من أحد أو زيادة في المصروف تعوضها عن
فقدانها.

وأصبح بيتنا تحت إدارة أبي الدقيقة وكأنه ثكنة عسكرية، كل شيء
يدير داخله بدقة محسوبة وللوقت قيمة كبيرة، وكان أبى يحتاجنا في
كل شيء من الأحوال بتفتيش باليب فلأبنا لراجعة ترتيبه وتنظيمه
وإذا كان كتبنا وأدواتنا الدراسية، يراجع كل شيء ويعاقب علمي القصير
والأكثر كما كان يفعل مع جنوده، فإذا ما وجد أي مخالفة لتعليماته التي
وضعها لإدارة البيت يكون العقاب قوريا بحرماننا من لقائنا الأسبوعي
بصديقاتنا.

وعلى هذا النحو أصبح «الشاذلى» الأب لا يختلف عن «الشاذل» الضابط، فكان يضع لكل شيء يخص أسرتنا خطة دقيقة لتنفيذها، ففى قضاء إجازتنا الصيفية فى الإسكندرية التى كان يحرص على أن يقضيها معنا، وكان يوزع مهام إتمام السفر فيما بيننا، ما بين مدونة عن حقائق السفر، وأخرى عن الاتفاق مع السيارات التى ستنقلنا إلى الإسكندرية، وأخرى تسبق الأسرة للإشراف على تجهيز وإعداد مكان الإجازة، وهناك كان أبى يضع خطة دقيقة تسمح باستغلال الوقت الاستغلال الأمثل ما بين تدريبنا على الرماية باستخدام بنادق الرش. وبين المسابقات التى كان يجريها فيما بيننا فى الجرى والسباحة وسباق الدراجات.

وتستطرد شهدان الشاذلى فى روايتها فتقول:

لم يغفل والدى أن يقيس مهارتنا فى طهى الأطعمة داخل منظرنا وذلك برغم وجود الخدم والمساعدين بالبيت، فكان يجرى فيما بيننا مسابقات الطهى فإذا ما وجد أن الوجبة موضوع الاختبار تفتقر للمذاق المناسب يوقع الجزاء بالحرمان من الفسحة الأسبوعية، وأضافت الأم إلى ثلاثتنا (شهدان وسامية وناهد) الكثير من المهارات النسائية فى الاهتمام بأناقة المظهر ومهارات الضيافة ومباينة الحياة الاجتماعية وتعلم الموسيقى والباليه.

وكانت لوالدى القدرة على استشراف المستقبل، فلما وجد أن المؤشرات الدولية تنبئ بأن دولة ألمانيا قد تصبح فى المستقبل القريب قلعة للصناعة الأوروبية فى ذاك الوقت، اختار لثلاثتنا التعليم الألمانى لىواكبة ما سيجد فى سنواتنا المقبلة من تحديات، وكانت مدرستنا الألمانية فى حى باب اللوق وسط البلد، فكان والدى يطلب من كل منا تحديد الوقت الذى سنستغرقه فى الذهاب إلى المدرسة بدقة، فإذا ما جاء يوم الامتحان وصلنا فى الوقت المناسب إلى المدرسة دون تأخير» إلى هنا انتهت رواية شهدان الشاذلى ولكن لازال فى حديثها رواية أخرى عن تجربتها الخاصة التى أرجعت الفضل فيها لوالدها.

من أجل ابنته: الشاذلى ينشئ أول مدرسة لتعليم الفتيات القفز بالمظلات

ونقلا عن رواية أخرى لشهدان الشاذلى جاء فيها :

إن أسرة الشاذلى (زوجته وبناته) حضرن الاحتفال الذى أقيم فى منطقة السباق بمصر الجديدة وذلك فى نهاية الخمسينيات، وعندما لاحظ «الشاذلى» الأب بذكائه انبهار ابنته (شهدان) ابنة الخامسة عشرة (بخارقة) قفز الجنود بمظلاتهم فى الهواء وهبوطهم على الأرض فسألها وقتها إن كانت ترغب فى تعلم القفز بالمظلات، فأصابها الإبهار مرة أخرى من أن أمنيتها يمكن أن تتحول إلى حقيقة فأجابت على الفور: ياريت. بالرغم من أنها كانت وقتها تهوى الباليه.

ولأن «الشاذلى» كان يتميز بقدرته الخاصة على تحويل الفكرة إلى واقع ملموس بأسرع مما يتوقع الجميع ، استطاع أن ينشئ أول مدرسة للبنات لتعلم القفز بالمظلات وكان وقتها قائداً لمدرسة المظلات بالقوات المسلحة. وكانت شهدان وقتها تلميذة بالمدرسة الألمانية ، حين عاد إليها والدها بعد أيام قليلة ليفاجئها بأن حلمها البعيد بالقفز بالمظلات سيصبح بعد أيام حقيقة وأنها ستقفز يوماً بمظلتها من الهواء إلى الأرض كما تمننت ، وعليها أن تجهز نفسها خلال ٢٤ ساعة للالتحاق بمدرسة المظلات ، وأوصاها أن تسارع بالحصول على أسبوع إجازة من المدرسة للإعداد والتدريب ، ولكن مديرة المدرسة وقتها رفضت الموافقة على إجازة شهدان ورفضت أيضاً التحاقها بمدرسة المظلات لخطورتها على البنات ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي اضطر فيها «الشاذلى» الأب إلى التدخل لتسهيل حصول ابنته على إجازتها المطلوبة وساعدها في إقناع مديرة المدرسة بمساواة البنت والولد فى كل شىء حتى فى القفز بالمظلات وهكذا حصلت ابنته على الإجازة ، وكان فى ذلك محاولة جريئة من الشاذلى أعلن فيها عن مقاومته للتمييز بين الولد والبنت والذي كان سائداً فى المجتمع المصرى آنذاك.

كانت شهدان هي أصغر البنات السبعة اللاتي دخلن عالم المخاطرة والمغامرة فى مدرسة القفز بالمظلات ، وأخفى «الشاذلى» الأمر عن زوجته حتى لا يصبح خوفها على (شهدان) عائقا يحول دون تحقيق حلمها فى تعلم القفز بالمظلات.

ولما بدأت شهدان تدريباتها مع تجزبة القفز فى الهواء شعرت بالسافة الكبيرة بين الحلم والحقيقة، ففى كل مرة كان خوفها من النتائج يزداد عن المرة التى تسبقها، ووالدها من ورائها يدفعها ويشجعها حتى تغلبت على الخوف وتعلمت الحذر والدقة فى حساب المسافات أثناء هبوطها فى الهواء، كيفية حماية جسمها من الصدمات لحظة نزولها على الأرض، والطريقة المثلى فى تجميع أطراف مظلتها وتفاصيل أخرى كثيرة ومثيرة، جعلتها تعيش تجربة خاصة ومميزة، كان الفضل الأول فيها لوالدها «سعد الشاذلى».

وفى ذكرى الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٠م، كان الاحتفال بخريج أول فرقة لبنات المظلات بحضور الرئيس جمال عبد الناصر، وفى لحظة فخر أمام والدها وأسرتها ورئيس الجمهورية قفزت (شهدان) على أرض نادى الجزيرة من ارتفاع ١٥٠٠ متر لتصبح بذلك أول فتاة عربية تنقز بالمظلات، وحظيت يومها بمصافحة الرئيس عبد الناصر الذى قام بتسليمها نوط التفوق، جائزة خاصة لتجربة فريدة فى مشوار حياتها، ولولا ثقافة «الشاذلى» الأب وفكره المميز الذى تجاوز به تقاليد عصره، وقدرته الخاصة على تحويل الأمنى إلى واقع، وحظيت (شهدان) من بين بنات عصرها بتلك التجربة الفريدة التى تمت بحفااس والدها «سعد الشاذلى» الذى كان حالة خاصة جدا من الآباء

النشأ في أزمّة دبلوماسية في الكونغو

استطاعت
بحر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبد الناصر بهزيمة حاسمة. واجهه التحديّات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة في زعامة للأمم العربية بعد مساندته للقوات المصرية في الدوا. العربية وهذا الدور الإفريقية والتي كان من بينها الحركة المصرية في الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م. ومن أجل هذه المهمة تمّ إرسال الكونغو في حركة الدورية. تمّ تسخير حبيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ مهام دبلوماسية للأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا) هناك، واختار الرئيس عبد الناصر وفيها السيد «سعد السادى» قائدا للكتيبة العربية، لكفافته وديرة وثقة الرئيس عبد الناصر في أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية في منطقة (ليبى) وهي مسطحة مسطحة في القسم الشمال الغربى للكونغو. وتبعد عن العاصمة (كينشاسا) ١٠٠ كم، وتبعد عن مسير ٥٠٠ كم. وكانت الكتيبة العربية بقيادة السيد «السادى» مسفولة من حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا السورية. ولم يجرى السادى يدري وقتها أن تجربته في الكونغو ستعدها إلى المهمة الدورية من المصالح والمخاطر فيها بعد

مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانت أولى مفاجآت الكونغو هي صرف ٥٠ ألف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باسم العقيد «سعد الشاذلي» في أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلي» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحسبا لأى ظروف قد تطرأ عليه، وذلك برغم أن «الشاذلي» كان قد قام بتجهيز الكتيبة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شئ، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن فى حاجة لهذا الدعم المادى إلا إنها كانت لفئة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلي».

وكانت تجربة «الشاذلي» فى الكونغو تجربة ثرية وعلامة فى مشوار حياته العسكرية عرف فيها الكثير بالاحتكاك المباشر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العسكرى، ولكن على الجانب الآخر كانت هناك الكثير من المتاعب التى كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزها فرصة للتدخل فى عمل العقيد «الشاذلي» متخذا من رتبته العسكرية الأعلى من رتبة «الشاذلي» سبيلا للتدخل فى عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلى» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات فى مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا فى بداية توتر العلاقة بين «الشاذلى» وأحمد إسماعيل وتركت فى نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلى مأزق تغيير السلطة فى الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذى كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتتغير بوصوله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببليجيكا، وأسرف فى مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالمستعمرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقية بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عدااء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلى» لم ينس فى مواجهة هذه التغيرات أنه

تابع للنظام في مصر ، فلما استشعر العبداء من الرئاسة الجديدة ضد
مصر بدأ يحتاط لحماية قواته تحسبا لما قد يجد من أحداث ، ونصح
جنوده وضباطه بضبط النفس ، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية
على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى»
ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه.
اضطر «الشاذلى» لسحب قواته العربية سرا وبحذر شديد بمعدل
٢٠ جنديا عربيا فى كل مرة فى انسحاب سرى تدريجى وبطىء ؛
ليمسكروا بالقرب من مطار (ليبىفى) ليسهل إقلاعهم فى أى وقت
تحسبا لتغير الظروف أو صدور أوامر بالانسحاب لليفوت «الشاذلى» على
(موبوتو) دكانده ضد القوات العربية ، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد
قوات الأمم المتحدة شعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب
من المطار . فأمر «الشاذلى» بسحب قواته العربية من منطقة المطار
وفورا ؛ وبسبب إحساس «الشاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض
أوامر (فينهور) واحتدم الخلاف بينهما (الشاذلى وفينهور) ، وأمام
إصرار «الشاذلى» وتمسكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى»
بتقديمه للمحاكمة لأنه لم يضع فى اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما
«الشاذلى» لم نفسه تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية
الكتيبة العربية . وأنه الوحيد صاحب القرار السياسى والعسكرى فيما
يخص قواته أثناء تواجدهم فى الكونغو . وأمام إصرار كل منهما على

رأيه (فينهور والشاذلي) تصاعد الصدام بينهما فسي وقت لم تكن فيه السلطة السياسية في مصر تعلم بهذا الخلاف الذي تصاعد ليحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشاذلي» وقتها بترتيب لقاء سيتم في مساء نفس اليوم، يجمع بين «الشاذلي» وبين الممثل المدني للأمين العام للأمم المتحدة (همرشلد) بحضور د.مراد غالب السفير المصري هناك، والذي حضر خصيصا من (كنشاسا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشاذلي» بالحرَج، فما كان يريد إحراج السفير (غالب) في مشكلة «الشاذلي» هو المسئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هي الترتيبات التي حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولما حان وقت اللقاء وبينما كان «الشاذلي» يرتب في عقله الحُجج والبراهين التي سيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشلد وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماسية التي تسبب فيها «الشاذلي» أخذ (همرشلد وغالب) يسترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التي تركت أثرا طيبا في نفس كل منهما وأسرفا في سردها وكأنهما في زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلي» حتى طالت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلي» يتربص مناقشة الأزمة التي أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما (غالب وهمرشلد) إلى مشكلة «الشاذلي» التي أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السفير غالب سأله «الشاذلى» بقلق عن السبب فى عدم مفاتحة (همرشد) فى المشكلة، فإذا به يستقبل قلق «الشاذلى» بابتسامة هادئة وكأن الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا ربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشد شخصا ليتخذا بشأنها القرار المناسب فيما بعد، ونصح «الشاذلى» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلى» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسحاب الكتيبة العربية من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسى لعبدالنصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلى» فى الانسحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشاذلى» طرفا فيه وكان له دخل بالأمور السياسية بين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسلاحها وعدتها وعتاها ٥٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلى» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو. وانتهت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشواره العسكرى وكشفت عن حرصه على مصالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشاذلى» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانها.

(من الأرشيف الصحفى تجربة الشاذلى من حديث للعقيد الشاذلى فى مجلة المصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

الشاذلى، فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته، ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يمر بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللواري والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المتاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدّة وعقاد الجيش المصرى آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة فى حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلى» وجد فى تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها فى إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب فى اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعى متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحررها إلى نظام القرن العشرين وتدخل فى النسيج العربى الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجل برحيل الاحتلال البريطانى عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره فى احتلالها سيكبدته الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد فى حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها فى إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم فى حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا فى مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا فى حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للسادات في حرب ١٩٧٣ م
كل ذلك كان حصاد ميابدة مصر لهم في حركاتهم التحررية»
ويبقى سؤال: هل كانت هناك صلة مباشرة بين وجود قواتنا
المصرية للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشنا في حرب يونيو عام
١٩٦٧ م (حرب النكسة)؟



في نكسة ١٩٦٧م «الشاذلي» ينجح في حماية قواته من العدو

مع حلول مارس ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تحشد قوات عسكرية بالقرب من حدود سوريا، وبالبرغم من أن التهديد جاء لسوريا وليس مصر، فإن القيادات السياسية والعسكرية في مصر أسرع باتخاذ قرار الحرب ضد إسرائيل حماية لسوريا في وقت كان من الصعب على الجيش المصري أن يحارب على جبهتين في وقت واحد، إحداهما في اليمن والأخرى في مصر لمواجهة إسرائيل العدو الشرس الذي يحتاج لمواجهة إلى استعدادات كبيرة ووقت كاف، ولذا لم يكن التصعيد لحرب ١٩٦٧ مدروسا دراسة كافية. وبالرغم من أن عبدالناصر كان يتمتع برؤية استراتيجية شاملة تشمل العوامل السياسية والعسكرية بكل جوانبها، فإن الصراع الخفي الذي كان يدور بين السلطة السياسية لعبد الناصر وبين عبد الحكيم عامر كسلطة عسكرية على قمة قيادات القوات المسلحة كان يؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية في ذلك الوقت حتى كان القرار المتسرع بدخول الحرب، وللأسف لم تدرك السلطة في مصر خطأها في اتخاذ قرار الحرب إلا بعد فوات الأوان.

وجاء في الحديث المسجل للفريق «الشاذلي» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلي» في المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشرات وأحيانا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشاذلي» بقواته في صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلي» وقتها بمدى التخبُّط في قرارات القيادة التي كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشاذلي» وأُطلق عليها (مجموعة الشاذلي) وكان قائده في سيناء هو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلي» في خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلي» قوات تكفي لمهمته الخطرة حتى حدث ما حدث يوم ٥ يونيه عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيه الأليمة.

في صباح ٥ يونيه وفي السادسة صباحا حملت «الشاذلي» طائرة هليكوبتر من موقعه في سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقيادة المحور الشمالي والجنوبي والأوسط في سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونيين

ليلتقوا بالشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل ، وبينما كان القادة في انتظار وصول المشير سمعوا دوى انفجار هائل وبعده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فإذا بمطار فايد - المجتبيين فيه - قد تم ضربه ، فاعتقدوا أن مطار فايد وحده هو الذي تم ضربه ، وعرفوا أن الحرب قد بدأت في الوقت الذي كان فيه الشير عامر لا زال يحلق بطائرته في الهواء ولم يعمل إليهم بعد ولا يوجد أى قائد من قادة الجيش في موقعه بين قواته .

ويروي «الشاذلي» عن حال جيشنا في سيناء بدون قيادته في ذلك اليوم العصيب :

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش في سيناء بدون قيادة . لأنه حسب بلا رأس ، والحمد لله أن العدو لم يتسرب إليه خبر اجتماع القادة في مطار فايد ، فلو علم العدو لأصابهم جديما بخرية واحدة فيداه جيشنا كله بالشلل التام ولأربكت المفاجأة الجديع . ولم يكن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم في سيناء بالسيارات ، ليقطع «الشاذلي» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة في سراء سيناء حتى ودا ، إلى موقعه في المحور الجنوبي المواجه للعدو قبيل المغرب . ١٢ ساعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا في سيناء بلا قيادة . بخشوفة للبدو في الصحراء بلا غطاء جوى والعدو يمرح في سائننا فوقهم بطائراته ولا يوجد أى قوة تقصدى له حتى وجد «الشاذلي» قواته (مجموعة الشاذلي) في

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسرائيلية في أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشاذلى» أية خطة هجومية يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأى خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشاذلى» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا فى سيناء ولم يكن يدرك ماذا يدور فى الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوى الذى من المفترض أن يحميها من العدو، وفقدت الاتصال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشاذلى» من حيلة يهتدى بها ليعرف ما يدور من حوله إلا الاستماع إلى الإذاعة المصرية ليتبين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشر بالنصر ورغم الحالة المزرية التى يعيشها «الشاذلى» وقواته، فأدار المؤشر لإذاعة العدو ووجدها تعلن عن بدء الزحف داخل الأراضى المصرية، واستمع «الشاذلى» فى ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التى اقتحموها فى سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلى» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التى تمر بها مصر وخاصة أنه كان فى عزلة تامة عن باقى القيادات، وبحكم موقعه كان «الشاذلى» هو الأقرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانت مجموعة الشاذلى بلا طيران يحميها وبدون أسلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه فى هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإسرائيلي، حاول «الشاذلي» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإسرائيلي فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلسطين أرض العدو الإسرائيلي، وفي قرار جرى قرار «الشاذلي» أن يتحرك شرقاً إليها ليحتمي بجبالها من العدو في عقر داره في فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى استقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك في بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإسرائيلي أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيعصب عليه أن ينال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن من التوقف لضرب مجموعة «الشاذلي» فلن تصل ضرباتها إليها وهي مختبئة بين جبلين، واشتهر «الشاذلي» في الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته في حماية قواته من طائرات العدو في حرب يونيو ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشاذلي» ليلة عصبية في حضان الجبل في أرض العدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشاذلي» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التي كان لها وقع مؤلم عليهم، في الوقت الذي كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفة الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماماً عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيو يوماً رهيباً بتحدياته لمجموعة «الشاذلي» عندما كشف الطيران الإسرائيلي مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشاذلي» أن قواته مرصودة من العدو الإسرائيلي، لكن «الشاذلي» كان

مطمئنا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفي نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها ! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

«الشاذلى» يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلة ٨ يونيه من أصعب ليالى حرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقه طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»: «كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبي الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء كان يزكم الأنوف».

كل ذلك كان يثير الحسرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإسرائيلى يحوم فوق رؤوسهم والموت يلوح لهم فى كل شبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء لبزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسة، فالعدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى مايدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشاذلى» ليشل حركتها ويكبدهم خسائر هائلة وطال بهم الطريق والشعور بمرارة الهزيمة والانسحاب من سيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطن الغالى فى قبضة العدو ليرتج فيها كيف يشاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رؤوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد الفقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدما فقد الكثير من معداته، وكانت (مجموعة الشاذلى) هى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سلاح المهندسين عند البر الغربى ينتظرون عبورهم ليقوموا بنسف المعابر قبل أن يلحق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشاذلى» هى آخر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحروب وأحوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذاك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشاذلى» أسدل الستار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟

حرب الاستنزاف علامة بارزة في مشواره العسكري

القيادت قياداتنا هزيمة ١٩٦٧م وأبقت على حالة الحرب مع العدو فيما عُرف بحرب الاستنزاف والتي كان يتم فيها عبور دوريات إلى العدو وعمل كمائن لقواته وتفجير مستعمراته في سيناء، وغيرها من الخطط العسكرية التي تفسد على العدو استقراره في سيناء. فماذا كان دور «الشاذلي» في حرب الاستنزاف؟

يخفى اللواء محمد التميمي عن دور «الشاذلي» في هذه المرحلة قائلا: «منذ ١٩٦٨م بدأت القيادة العامة في إعداد الجيش ووضع خطط جديدة استعدادا للحرب واسترداد سيناء: ووقتها شارك اللواء «الشاذلي» في إعداد مشروع سنوى تدريبى استراتيجى بوصفه قائدا للقوات الخاصة مع القيادات العليا والتي كان على قمتها وقتها الفريق محمد فوزى آنذاك. ففي الفترة من ١١ يونيو ١٩٦٧ حتى ديسمبر ١٩٦٩م تولى اللواء «الشاذلي» قيادة القوات الخاصة وقد كانت له بصمة ارتبطت باسمه عندما قام لأول مرة بضم الصاعقة مع المظلات في سلاح واحد، ليعضى بذلك على المنافسة التي كانت بين الصاعقة والمظلات لتتحول إلى تعاون إيجابى فيما بينهما.

وساعدنا الاتحاد السوفييتى بجدية في تعويض خسائر طائراتنا في النكسة وما دمرته إسرائيل في حرب ١٩٦٧، وكنا قد فقدنا الطائرات

لكننا لم نقصد الطيارين، وبدأت طائراتنا في هذه الفترة تُغير في طلعات دورية على العدو حتى انتبه إلى قواتنا الجديدة فانتقم منا بعدوانه الشهير ففى ١٩٦٩م فى بحر البقر وفى أنشاص مقر تدريب أبطال القوات الخاصة لأن معظم عمليات الاستنزاف كانت تقوم بها القوات الخاصة من أنشاص بقيادة اللواء «الشاذلى» وتمكن العدو وقتها من تدمير كل قواتنا الجوية الجديدة وقواعدها، وعادت سماء مصر مفتوحة أمام إسرائيل وأصبح الموقف خارج إمكانياتنا حتى نجح الرئيس عبد الناصر فى نهاية ١٩٦٩م بالاتفاق مع روسيا على إمداد الجيش بالسلاح وقوات مقاتلة من موسكو، وأرسلت روسيا ولأول مرة طيارين لتعادل بهم القوى بين مصر وإسرائيل وجاءت معها بخبراء للأسلحة وخبراء تدريب ومستشارين معاونين للقادة أثناء حرب الاستنزاف، وكانت مهمتهم التصدى للطائرات الإسرائيلية داخل مصر وبما لا يتجاوز ١٥ كم نحو الضفة الغربية من قناة السويس. وظلت المساعدات العسكرية من السوفييت إلى أن أصبحنا قادرين على إعداد كوادر خاصة (بنا). انتهت رواية اللواء/ التميمي وفى يولييه ١٩٧٠م وأثناء حرب الاستنزاف أصدر الرئيس عبدالناصر قرارا مفاجئا بنقل اللواء «الشاذلى» إلى البحر الأحمر ليتولى قيادة المنطقة العسكرية هناك، فما الذى حدث وأدى إلى نقل «الشاذلى» على وجه السرعة من أنشاص إلى البحر الأحمر؟

إبداعات عسكرية للشاذلي، في البحر الأحمر

جاء في رواية العميد (يحيى الشاذلي) أن العدو كان يحدث مع قواتنا في البحر الأحمر مناوشات عنيفة خلال حرب الاستنزاف، حتى إن العدو أسرف في انتقامه في سبتمبر ١٩٦٩م عندما تسللت جنوده إلى منطقة الزعفرانة وتصادف في هذه اللحظات مرور محافظ البحر الأحمر بسيارته فاعترضوا طريقه وقتلوه وسائقه، وكان لهذا الحدث المؤسف وقع سييء على الرئيس عبد الناصر فاضطر إلى إصدار قرار بنقل اللواء «سعد الشاذلي» من قيادة الصاعقة بمنطقة أنشاص ليتولى قيادة المنطقة العسكرية بالبحر الأحمر ليتصدى لعمليات الإغارة الإسرائيلية هناك لثقة الرئيس في كفاءة اللواء «الشاذلي».

وهناك أحكم اللواء «سعد الشاذلي» سيطرته العسكرية على المنطقة العسكرية ليتصدى لهجمات العدو هناك، فقام بتدريب أكفأ الضباط، وصف ضباط الصاعقة على القيام بعمليات إغارة لإحدى النقاط الحصينة من خط بارليف، منها النقطة التي كانت تقع بين رأس العش والتينة في القطاع الشمالي لإرباك القيادة الإسرائيلية هناك، فجاء رد فعل العدو على إغارات قوات «الشاذلي» أكثر عنفا، وفي تحد سافر قامت قوات العدو بعملية إغارة شرسة على جزيرة شوان، فأصدر «الشاذلي» أوامره

لقائد سرية الماعقة التي كانت تحمي الجزيرة بالصمود والاستبسال حتى لحق به «الشاذلي» وجنوده بطائرة هليكوبتر على الفور وتبعته ٢ سرية صاعقة، ونتج عن الاشتباك تدمير جزء لا يستهان به من سرايا العدو وطائرة هليكوبتر، وقتلت قوات «الشاذلي» وأسرت عددا كبيرا من جنود العدو، مما دفع باقى قواتهم أن يلوذوا بالفراز من الجزيرة بعد هزيمتهم واستنجدت (جولدا مائير) بالرئيس الأمريكى لعمل هدنة بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ووقف إطلاق النار، وقالت جملتها الشهيرة: (أنقذونا من المجرم سعد الشاذلي) واعتبر «الشاذلي» هذه المقولة وساما على صدره، بعد مذبحة شدون تم بالفعل وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، ووقتها تظاهر الشباب الإسرائيلى أمام الكنيست ضد وقف إطلاق النار فطالعتهم جولدا مائير قائلة: (كيف تتظاهرون فى يوم السميت الحزين بعد مذبحة «الشاذلي» فى شدون الذى قتل من ضباطنا وجنودنا الإسرائيليين وأسّر منهم الكثيرين).

انتهت رواية العميد/ يحيى الشاذلي

ويحكى اللواء أشرف راشد الذى قضى فترة من خدمته العسكرية فى البحر الأحمر وقتما كان «الشاذلي» قائدا لها فيقول:

بالرغم من أن قوات «الشاذلي» كانت محدودة فإنه استطاع أن يواجه العدو بخطط قضت على هجماته هناك، فعندما كان العدو الإسرائيلى يقوم أحيانا بزرع الألغام ليلا كانت جنودنا ترصد أماكنها وتنزعها فى

الصباح ، وكان العدو يقوم بتنفيذ عمليات شرسة ضد المدنيين ردا على هجمات «الشاذلي» فيسقط قواته بالمظلات على طريق الأسفلت ليقطع الطريق على المارة المدنيين، ويأسر بعضهم ثم يحملهم بطائراته إلى إسرائيل، ويبالغ مبالغة شديدة في الإعلان عن عدد الأسرى وحدث ذلك بالفعل في طريق قنا القصير عندما أسره ٥ من المدنيين وأعلن أنهم ٥١ أسيرا ، ولواجهة ذلك والقضاء عليه بدأ اللواء «سعد الشاذلي» التركيز بقواته على ٥ مناطق، ومنع السير ليلا على الطرق العسكرية والمدنية بدءا من قبل الغروب بساعتين حتى الساعات الأولى من الصباح (حظر تجول) ليضيق على العدو فرصة التعرض للمدنيين هناك ، كما أقام نقاطا للمراقبة الجوية ، كل نقطة بها ٥ جنود لرصد حركة العدو وتضييق الفرصة عليه عند التسلل ، ونجح اللواء «سعد الشاذلي» بالفعل في إحكام قبضته على المنطقة ، فلم ينجح العدو خلال قيادته لمنطقة البحر الأحمر في أسر أحد من المدنيين أو العسكريين ولا حتى الإغارة على أية نقطة ، كما نجح في إقامة مناطق آمنة في رأس غارب والغردقة وسفاجا والقصير حتى ارتبط الأمان هناك باسم «الشاذلي» بعدما كبد العدو خسائر فادحة.

ويضيف اللواء أشرف راشد :

لم يكتف اللواء «سعد الشاذلي» وقتها بتدريب قواته على القتال وحسب وإنما كان يعلمهم مهارات أخرى ويحرص على تعريفهم بكثير

من المعلومات منها أهمية المد والجزر للبحر وتأثيره على تحركاتهم نحو العدو، وكان يصدر ما عرف (بتوجيهات الشاذلي) التي اشتهر بها آنذاك في الجيش وكان يصدرها كل شهر في كتيب لكل ضابط وكل جندي، كان يحتوى على تعليمات تفصيلية دقيقة لدور جنوده وضباطه وكان الجميع يلتزم بتنفيذها بدقة منها ما كانت تقضى بترشيد استهلاك المياه لندرتها، وكذا طرق الاستخدام الأمثل للذخيرة والأسلحة وتجنب الفاقد منها، وتعليمات أخرى كثيرة تحدد عمل الضباط والجنود وتحركاتهم خلال ٤٢ ساعة، ولم يترك اللواء «الشاذلي» شيئا مهما كان صغيرا أو كبيرا إلا واستفاد منه، منها على سبيل المثال لا الحصر أنه عندما لاحظ ما يفيض من فترات أطعمة الضباط والجنود لم يسمح أن يُلقى بالفتات في القمامة، بل أمر بإقامة حظائر لتربية الدجاج خلف المطابخ للاستفادة من فائض الأطعمة ليقدّم الدجاج فيما بعد ضمن الوجبات الغذائية على موائد الضباط والجنود كأطعمة ترفيحية. وغيرها من الأفكار التي لا تتسع الأوراق لحصرها لكنها تكشف عن عقلية «الشاذلي» الإبداعية وابتكاراته مع كل شيء مهما كان بسيطا.

انتهت بذلك رواية اللواء أشرف راشد

الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش

بعد مرور مايقرب من عام على رحيل الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠م أصدر الرئيس السادات فى ١٦ مايو ١٩٧١م قرارا بترقية اللواء «الشاذلى» إلى رتبة الفريق وتعيينه رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة، ويعلق اللواء جمال مظلوم على هذا القرار فيقول:

جاء هذا التعيين تقديرا لكفاءة «الشاذلى» وجهده خلال حرب الاستنزاف، متخطيا بترقيته دفعيتين من زملائه ما كان «للشاذلى» أن يسبقهم إليها إلا بكفاءته التى اشتهر بها، ووقتها كان تعيينه مفاجأة للشاذلى وزملائه اللواءات الذين تجاوزهم بالترقية، وكانت ترقية «الشاذلى» فى هذا التوقيت تعكس ذكاء الرئيس السادات فى اختيار قادة الجيش، خاصة أنها جاءت بعد ثورة التصحيح بأيام والتى أطاح فيها الرئيس السادات بمراكز القوى التى تآمرت عليه، ولأن «الشاذلى» كان عسكريا محترفا لا يسعى إلى المناصب أو التقرب إلى أى سلطة، ولم يكن محسوبا على أى تكتل، فكان «الشاذلى» من وجهة نظر السادات شخصية محايدة سياسيا وله تاريخ عسكرى مشرف، فاعتبر «الشاذلى» والسادات هذه الترقية فى هذا التوقيت الحرج شأنا وطنيا لصالح مصر. فماذا قدم «الشاذلى» لمصر فى منصبه الجديد؟

يعود اللواء محمد التميمي ليحكى عن جهود «الشاذلى» فى إعداد الجيش لمعركة أكتوبر فقال :

«أراد الفريق «الشاذلى» أن يضاعف عدد ضباطه ، ولأن الضابط يحتاج فى إعدادهِ إلى جهد كبير خاصة أن «الشاذلى» كان يُعد الضابط ليصبح قائدا وليس مجرد ضابط يتلقى أوامر لينفذها ، وكان سبيله لتحقيق ذلك هو وضع برنامج لمضاعفة عدد الضباط ، وتدريبهم تدريبا جيدا على أسلحتهم ، فوزع ضباط الاحتياط حاملى الشهادات الجامعية على مدارس الأسلحة المختلفة ، وحرص أن يظل كل منهم فى تخصصه حتى قيام الحرب فيما بعد ، ليكتسب كل ضابط مهارة عالية بتدريبه وملازمته لسلحاه لسنوات ، ولم يسمح بتنقل الضباط بين الأسلحة المختلفة ، ليحصل فى النهاية على كوادِر متخصصة.

ومن الركائز الهامة التى اعتمد عليها الفريق «الشاذلى» هى الشحن المعنوى المستمر للضباط وتوعيتهم بقضية مصر ضد العدو الإسرائيلى ، فاستخدم اللافتات التى ترمز لحب مصر والاستبسال من أجلها ، وأمر بتعليقها فى كل مكان يمكن للضباط أن يروها طوال حياتهم اليومية (فى المطاعم والممرات وأماكن النوم وأماكن التدريب و....و....) وكذلك مطبوعات الإعداد المعنوى التى كانت توزع عليهم والتى أطلقوا عليها (توجيهات الشاذلى).

دأب «الشاذلى» على تقديم حلول عسكرية فورية لكل ما يواجه ضباطه من مشاكل مهما كانت صغيرة ، وكان ينظم مؤتمرا شهريا يضم

قيادتين على الأقل وثلاثة مستويات لقيادات أقل حتى أدناها (الجندي) ليعرض كل منهم مشاكله للمناقشة فى حضور القيادات الأخرى ، فقد يجد حلا لمشكلة أحد القادة لدى قيادى آخر فيتحقق الحل الفورى فى زمن قياسى ، وكان «الشاذلى» يشرف بنفسه على هذه اللقاءات ويناقش الحلول معهم ، وإذا صادفه مشكلة صعبة الحل يقوم على الفور بتكوين لجنة خاصة لحلها وفورا ، وذلك لدعم الاتصال بين القيادة والجندي الفرد باعتبارده أساس القوات المسلحة.

ساعد على إنجاح ذلك أن الفريق «الشاذلى» كان يتميز بصفات متفردة ، منها إدارة الوقت والالتزام بالتوقيتات والمواعيد بدقة شديدة ، والتخطيط الاستراتيجى الجيد ، وتفوقه فى إعداد خطط وجداول العمل ، ورفضه للتميز فى أى مجال عن باقى القادة كما حدث عندما رفض إقامة ملجأ خاص له كقائد ، واكتفى بملجأ أسوة بالقادة الأصغر تحت الأرض ، واهتم بتنمية الولاء والانتماء ومهارات الاتصال بين القيادات والضباط والجنود ، بالإضافة إلى ذلك أدخل «الشاذلى» مايسمى (التدريب بالمغامرة) وهو إصطلاح معروف فى القوات البريطانية تعلمه «الشاذلى» فى بداية الستينيات عندما كان ملحقا حربيا فى لندن ، ولم يكن هذا الأسلوب التدريبى متبعاً فى القوات المسلحة المصرية فى ذاك الوقت ، ويتلخص فى قيام القادة الأصغر مع جنودهم ببعض الرحلات بعيدا عن وحداتهم وقادتهم على أن تجمع هذه الرحلات بين الترفية والتدريب

ليكتسبوا مهارة الاعتماد على النفس والابتكار واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، في عمل دؤوب لم يسبقه إليه أحد، ولم يلجأ إليه أحد بعده حتى تحقق ما تمناه من إعداد قوة مماثلة من الضباط مضافة إلى قوته الأساسية ليتضاعف عددها خلال سنتين فقط.

إلى هنا إنتهت رواية اللواء/ محمد التميمي
ساهم هذا الجو النفسي الذي أحدثه «الشاذلي» في رفع الروح المعنوية للضباط والجنود التي أعانتهم على دخول الحرب المرتقبة تملؤهم الثقة في أن النصر سيكون لهم بإذن الله، لم يساهم هذا الإعداد العسكري والنفسي غير المسبوق في تقوية الروح المعنوية للجنود والضباط وحسب ولكنه زاد من ثقة الفريق «الشاذلي» في المواجهة المرتقبة ضد إسرائيل، فدفعته هذه الثقة إلى أن يقدم مذكرة للرئيس السادات في نوفمبر ١٩٧١م يستأذنه فيها بالسفر إلى دول الدعم العسكري لطلب العون في الحرب المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك تمهيدا للاستعداد للحرب، فقد كان الفريق «الشاذلي» وقتها هو الأمين العسكري المساعد بجامعة الدول العربية مع رئاسته لأركان حرب الجيش، ولكن مضى شهران ولم يرد الرئيس على مذكرة «الشاذلي» بالرفض أو القبول! فاضطر «الشاذلي» إلى طلب مقابلة الرئيس وتحدد موعد المقابلة في ٢٧ يناير ١٩٧٢م فماذا دار بين الشاذلي والسادات في هذا اللقاء؟

مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية

فى اللقاء المرتقب فى ٢٧ يناير ١٩٧٢م تمت المقابلة بين الشاذلى والسادات، وأخبر الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات عن عزمه على القيام بجولة فى بعض الدول العربية لطلب دعمها العسكرى لمصر استعدادا للمواجهة المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك، فقال السادات:

لا أوافق... إنها مضيعة للوقت ولن تكون هناك أية نتائج للزيارة، ولكنى أوافق على أن تزور ليبيا والسعودية فقط لأنهما بالفعل على استعداد لتقديم العون لنا، أما الدول الأخرى (الجزائر والمغرب والعراق) فإنها لن تعطى شيئا، لكنها ستستفيد دعائيا من زيارتك. الشاذلى: ولكن سفرى إلى هذه البلاد سيكون بصفتى الأمين المساعد العسكرى للجامعة العربية وليس بصفتى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة. السادات: إن سفرك بصفتك الأمين العسكرى المساعد للجامعة العربية لن يلغى صفتك كرئيس للأركان، وسوف يستغلون صفتك هذه فى دعاياتهم لأبعد الحدود.

الشاذلى: إن علاقة مصر مع تلك الدول سيئة فإذا نجحت زيارتى فى الحصول على شىء لمصر فهو مكسب، وإذا لم أحقق شيئا فليس هناك ما نخسره.

رد السادات فى غضب :

شوف يا سعد..... أنت رجل عسكرى محترف ولا تفهم فى السياسة، إنى أعمل فى السياسة وأتعامل معهم منذ عشرين عاما وأعرفهم جيدا، إنهم يزایدون أحيانا وينتقدون أحيانا أخرى ويعرضون مساعداتهم بشروط غير مقبولة، وكيف تقوم بزيارة دول تقوم بالتهجم علينا وانتقاد سياستنا ؟

استوعب الفريق «الشاذلى» بذكائه اعتراض الرئيس واستطاع فى نهاية اللقاء أن يقنعه بفكرته، وسرعان ما تغيرت لهجة الرئيس بعد اقتناعه بوجهة نظر «الشاذلى» وقال :

الله يجازيك يا سعد ! تقدر تقوم بزيارتك وسنرى ما ستنمخض عنه هذه الجولة العربية.

وبالفعل غادر الفريق «الشاذلى» القاهرة فى ٩ فبراير ١٩٧٢م متوجها إلى الجزائر، يرتب فى رأسه ما سيطرحه فى حوار مع القادة هناك، وكان الفريق «الشاذلى» يتميز ببراعته فى الإقناع وقدرته الفريدة فى تحويل فكرته إلى واقع فى زمن قياسى، وفى الجزائر وظف «الشاذلى» كل إمكانياته الإقناعية وذكاءه فى التفاوض حتى كان له ما أراد وحصل بالفعل على موافقة المسؤولين هناك على دعم مصر، وشجعه نجاحه فى الجزائر أن ينطلق منها إلى المغرب ثم ليبيا وبعدها عاد إلى القاهرة بنتائج مثمرة للغاية أرضت الرئيس السادات وشجعت «الشاذلى» أن

يعاود المحاولة في دول عربية أخرى. فقام من جديد بزيارة العراق في ٢٦ مايو حتى ٢ يونيو ١٩٧٢م ونجح في تقريب وجهات النظر بين القاهرة وبغداد. (الفقرة السابقة نقلا من كتاب - الفريق الشاذلي وأسرار الصدام مع السادات - للكاتب محمود فوزي).

مناقشات حول قيام الحرب

بعد نجاح جولاته في دول الدعم العسكري بدأ «الشاذلي» في وضع تصور لخطة الحرب وفي ٦ يونيو ١٩٧٢م دعا الرئيس السادات القادة العسكريين إلى مؤتمر باستراحته بالقناطر الخيرية لمناقشة خطة «الشاذلي»، وبدأ القادة ومعهم الرئيس السادات يستمعون إلى تقرير الفريق أول أحمد إسماعيل رئيس جهاز المخابرات العامة آنذاك وخلاصة ما جاء في التقرير:

(تحذير من أن تقوم القوات المسلحة بأى عمليات هجومية ضد العدو حيث إنها غير مستعدة بسبب ضعف قواتنا الجوية، وبناء عليه توجب أى عملية حربية إلى أن تكون قواتنا متوازنة مع قوات العدو) وجاء اقتراح التأجيل متوافقا مع وجهة نظر الفريق صادق وزير الحربية في رفضه للحرب، فطلب الفريق «الشاذلي» الكلمة تعليقا على ما جاء في التقرير قال فيها:

«ليس هناك خلاف على ضعف قواتنا المسلحة في قدرتها على القيام بعملية هجومية كبيرة، ولكن إمكانياتنا الحالية تسمح بأن نقوم بعملية

محدودة نصيب بها إسرائيل في نقطتي ضعفها، الأولى: هي عدم قدرة العدو على تحمل الخسائر البشرية لقلّة عدد المقاتلين، والثانية: طول مدة الحرب لأن إسرائيل تعتمد على الحروب السريعة وتعبئ لها نسبة كبيرة من الشعب اليهودي للاشتراك في الحرب مما يؤدي إلى توقف الحياة في إسرائيل بكل قطاعاتها، فالاعتماد على إطالة مدة الحرب سيكون سبباً لتعجيز إسرائيل وتكبيدها خسائر بشرية، فتسقط من تلقاء نفسها عند المواجهة».

لم يكن الهدف الأول «للشاذلي» هو الحصول على الأرض بقدر حرصه على الانتصار العسكري بتدمير قوات العدو كخطوة أولى، فقد كان يرى أنه إذا تقدم جيشنا للحصول على الأرض دون القضاء أولاً على العدو مع ضعف قواتنا الجوية والتفوق العسكري للعدو نكون قد أتحنا الفرصة للعدو بتطويق جيشنا والانتصار علينا. ذلك لأن العدو كان يتفوق علينا في الطيران، ولديه سرعة التواصل المباشر لطيرانه مع دباباته على الأرض مباشرة وهذا ما لم يتوافر لدينا. وبناءً عليه يصبح (القضاء على العدو أولاً) هو السبيل لتحقيق النصر واسترداد الأرض. فإذا تم الانتصار على العدو أولاً فتح النصر أمامه كل الأرض فيما بعد فيحصل عليها عندئذ بدون حرب أو خسائر.

وبعد استعراض الفريق «الشاذلي» لخطة أعلن اللواء المسيرى قائد القوات الجوية تأييده المطلق لخطة «الشاذلي» ١٠٠٪، واستعرض القادة

العسكريون وجهات النظر المختلفة وأصبح القرار للرئيس السادات،
ولكن انتهى الاجتماع دون أن يتخذ الرئيس قراراً محدداً يحسم به
خلاف وجهات النظر بين القادة حول الحرب.



الشاذلى. يضع خطة المآذن العالية.

٢٦ أكتوبر ١٩٧٢م وبعدما اقتنع السادات برؤية «الشاذلى» وفى طلب الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية من الفريق «الشاذلى» وضع خطة مبدئية للوصول إلى المضائق لإطلاع الجانب السورى عليها (والمضائق هى ممرات ضيقة بين جبال سيناء تمر من خلالها القوات المحاربة إلى داخل سيناء) ووضع الفريق «الشاذلى» خطته طبقاً للإمكانيات الواقعية للجيش المصرى آنذاك وكذا إمكانيات العدو، وأطلق على الخطة اسماً سرياً (المآذن العالية) بينما كان الاسم المعلن (الخطة ٤١) بهدف التعمويه على خطة المآذن العالية. وكان الهدف من إعلان (الخطة ٤١) هو إعلام الروس بها لمساعدتنا بتوفير الأسلحة والإمكانيات اللازمة لتنفيذها، وجعل «الشاذلى» هدف خطته هو الاستيلاء على ٣٠ : ٤٠ كم داخل سيناء على مرحلتين. الأولى التحرك حوالى ١٢ كم فقط، يتم بعدها وقفة تعبوية لقواتنا قد تمتد لشهور بهدف إضعاف العدو بطول مدة الحرب فيسقط عند أول مواجهة، بعدها يتم الاستعداد للمرحلة الثانية، ورأى «الشاذلى» أن تنفيذ الخطة على مرحلتين يفوت على العدو مهاجمة الجيش المصرى وتطويقه، وتم إطلاع الرئيس السادات والجانب السورى على الخطة بمرحلتيتها.

إقالة الفريق صادق وزير الحربية

لم يكن الفريق محمد صادق وزير الحربية فى ذاك الوقت متحمسا بما يكفى لخوض الحرب ضد إسرائيل، حتى إنه لم ينفذ تعليمات الرئيس السادات بتبليغ أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة جميعهم فى اجتماع الفريق صادق بهم بالاستعداد للحرب لأنه كان يخاف الحرب ويخشى المعركة المرتقبة برغم بدء الإعداد لها! وغضب الرئيس السادات لما علم بمخالفة الفريق صادق لتعليماته واعتبرها سقطة كبيرة من الفريق صادق فاضطر لإقالته، وعين الفريق أحمد إسماعيل على بدلا منه والذي كان وقتها مديرا للمخابرات، وتم تعيينه وزيرا للحربية خلفا للفريق صادق وذلك فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٢م (ملخص رواية السادات فى ص ٨٤٢ من كتابه البحث عن الذات بشأن إقالة الفريق صادق)

قرار الرئيس السادات بإجلاء القوات الروسية عن مصر

وفى يوليو ١٩٧٣م جاء قرار السادات بإجلاء القوات الروسية فى توقيت حرج قبل حرب أكتوبر بشهرين وأصبح على الجيش المصرى أن يُضاعف من عمله لتعويض الفراغ الذى تركه الروس فى الجيش، مما زاد من العبء على الفريق «الشاذلى» فاضطر لمضاعفة الجهد لإعداد قوات جديدة، وبعدها بشهر واحد بدأ الاستعداد الفعلى لتنفيذ خطته عندما التقت القيادات العسكرية السورية والمصرية فى مؤتمر بالإسكندرية

فى ٢١ أغسطس ١٩٧٣ م لمدة ٣ أيام لاتخاذ التدابير اللازمة للاستعداد للحرب ورفع تقارير عن هذه اللقاءات لكل من الرئيس السادات فى مصر والرئيس الأسد فى سوريا حتى تتخذ القيادات السياسية التوقيت المناسب طبقا لعوامل كثيرة منها أعياد اليهود، وعوامل المد والجزر فى قناة السويس، والليالى القمرية، وكذا الظروف الطبيعية فى سوريا وغيرها من الاحتياطات، بعدها تحدد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم الحرب وتم إبلاغ الجبهة الشمالية - سوريا - والأردن بموعد الحرب.

وهنا يحكى الفريق يوسف عفيفى المحافظ الأسبق للبحر الأحمر الذى كان قائدا للفرقة ١٩ مشاة فى حرب أكتوبر التى سجلها فى كتابه (الفرقة ١٩ مشاة أبطال فوق العادة) قائلا:

(أخذ الفريق «الشاذلى» يتابع الاستعدادات النهائية لتنفيذ خطته، وكعادته كان يراجع بدقة شديدة أدق تفاصيل العبور بالساعة والدقيقة وربما بالثانية كما أعدها بالضبط، بعدما وصل حرصه إلى التأكيد على أن يحمل كل جندى وضابط سيقوم بالعبور حقيبة صغيرة على ظهره يحمل بها أطعمة جافة تكفيه ٢٤ ساعة وجهاز لاسلكى ليتسنى له الاتصال بقيادته، وطلقات دخان ليسهل على طائرات الإنقاذ أن تراه إذا ضل طريقه فى سيناء، وتحديد عدد الجنود فى كل قارب للعبور، وتوقيتات دقيقة لتحرك كل منهم فى لحظات العبور، كان «الشاذلى» يعد لحرب أكتوبر وعبور القناة كأنه يعد لاحتفال كبير بالنصر، مطمئن بالروح

المعنوية المرتفعة لجنوده، واثق كل الثقة بخطته، ويؤكد بين الحين والآخر على تفاصيل متناهية الدقة كأنه فى سباق مع التاريخ لينتزع من أيامه القادمة النصر لبلاده) وأضاف الفريق يوسف عفيفى:

(إن الفريق «سعد الشاذلى» نظم ببراعة فائقة انسياب مايزيد عن ثلاث آلاف مركبة عبر القناة فى فترة زمنية قصيرة حددها بحساباته الدقيقة بألا تزيد على ٣ ساعات، ولم يترك فى تجهيز مسرح العمليات صغيرة ولا كبيرة بكل تفاصيلها الدقيقة عن تجهيز المقاتل ومهامه المختلفة فى كل مراحل العبور والقتال شرق القناة إلا وأعدّها إعدادا غير مسبوق وأصدرها مكتوبة فى توجيهه التاريخى الذى أطلق عليه (توجيه ١٤) وهذه الجهود لابد أن تنسب للفريق الشاذلى بطل أكتوبر وسيظل التاريخ يذكرها له).

إلى هنا انتهت رواية الفريق يوسف عفيفى وفى يوم الجمعة ٥ أكتوبر قبل العبور بـ ٢٤ ساعة فقط، وبينما كان «الشاذلى» يتفقد أحوال الوحدات العسكرية بطول القناة ويراجع كل شىء مراجعة دقيقة، استوقفه تجمع كبير للجنود والضباط حول اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميدانى يخطب فى جنوده وهم يستمعون إليه فى انتباه هائل.

كان اللواء عبد المنعم واصل فى كلمته يشعل حماس جنوده ويحفز عزيمتهم للقتال ويمنيهم بالنصر ويدعوهم للاستبسال ووضع الأرواح

على الأكف فإما النصر وإما الشهادة و.....و.... فقاطعه الفريق «الشاذلى»
ليقتراح عليه اختيار صيحة التكبير «الله أكبر» بمعانيها الحماسية
لتكون صيحة العبور، ولما راقى الفكرة للواء واصل أمر «الشاذلى» بجمع
٢٠ من مكبرات الصوت لتوزيعها على الوحدات بطول خط القناة لتنادى
على الجنود فى لحظات العبور «الله أكبر» فيرددونها الجنود فى لحظات
العبور فتشتعل قلوبهم حماسا بنداء التكبير وتشحنهم بطاقة إيمانية
لها قوة دفع تعينهم على العبور، حتى جاء ٦ أكتوبر يوم العبور، فماذا
كان يفعل الفريق «الشاذلى» فى هذا اليوم التاريخى؟



أعظم أيام النصر في مصر

منذ صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م إلى الساعة الثانية ظهرا (ساعة الصفر) كان الفريق «الشاذلي» منشغلا بتلقى تقارير تؤكد الاستعداد التام في جميع الوحدات على خط القناة، ويتابع من خلال مركز القيادة موقع كل مقاتل واستعداده لمهام القتالية المعدة له ليتأكد أن قواتنا في حالة الاستعداد القصوى، وكان «الشاذلي» كقائد متحفز للثأر من عدوه يملؤه شعور بالقوة بترتيباته الدقيقة لكل شيء مع بعض من قلق ترقب التنفيذ، ويتابع تقارير عن أحوال العدو على الجانب الآخر شرق القناة فيطمئن لاسترخاء العدو وعدم انتباهه لاستعدادات قواتنا للعبور لمباغتته والهجوم عليه.

وكان الرئيس السادات في مركز القيادة العامة يحتل مكانه على المنصة الرئيسية مع القائد العام ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات حتى جاءت ساعة الصفر الثانية ظهرا التي انطلقت فيها طائراتنا تضرب بقوة معازل العدو في الطلعة الأولى وتعلن نجاح الضربة الأولى نجاحا كاملا ومذهلا لإسرائيل والعالم كله، في ثلث ساعة فقط وبعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة ومراكز إدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوي للمدو «الله أكبر»، ولما تأكد السادات من نجاح الخطوة الأولى هنا القادة في غرفة العمليات،

وانطلقت جنودنا طبقا للخطة يتسلقون ببراعة هائلة الساتر الترابي على درجات من الحبال، وآخرون فى مواقع أخرى يشقون بخراطيم المياه ارتفاعات هائلة للساتر الترابي وهم يرددون «الله أكبر»، والزوارق المطاطية تندفع بقوة وبسرعة هائلة على سطح مياه القناة تحمل قواتنا إلى الجانب الشرقى فى سيناء «الله أكبر» وساعة وراءها ساعات وامتدت المعابر تشق مياه القناة لتصنع جسرا تعبر من خلاله أسلحتنا الثقيلة إلى سيناء وصيحة التكبير تزلزل قلوبهم وتشعلهم حماسا «الله أكبر» و «الشاذلى» بانتباه هائل يتابع بقلق بالغ أدق تفاصيل تنفيذ خطته خطوة بخطوة وتحركات جنوده على خط النار.

وعاشت مصر كلها فى هذا اليوم العظيم من تاريخها مفاجأة الحرب فى حالة ترقب وقلق شديدين أثناء متابعة العبور من خلال شاشة التلفاز، كان الشعب المصرى كله يترقب النصر ويخشى تكرار الهزيمة، لم يكن جنودنا وحدهم يرددون صيحة التكبير «الله أكبر» فى لحظات العبور ولكن كان يرددها معهم الشعب المصرى كله فى الشوارع والمقاهى والبيوت وفى المساجد خاصة أن يوم نصر العبور توافق مع يوم العاشر من رمضان حتى أطلق البعض على حرب أكتوبر حرب العاشر من رمضان. وكان لإعلان الحرب والعبور مفاجأة أيضا لأسرة الفريق «الشاذلى» فى منزلهم، فلم يعلموا بالحرب إلا من خلال وسائل الإعلام مثل باقى المصريين! وعن هذا اليوم قالت السيدة زينات السحيمى زوجة الفريق «الشاذلى» فى حوار لها:

«أنا عشت حياتي ربة منزل ويومها كانت عندى الخياطة وجاءت إلينا ابنة الجيران لتعلمنا بعبور الجيش للقناة، وكانت المفاجأة مذهشة لأن «سعد» لم يخبرنى أى شىء عن عزمه على الحرب، وكانت تلك عادته. كان رجلا عسكريا بكل ماتحمله الكلمة من معنى، كان دائما مشغولا بعمله، وكان صامتا لا يتكلم معنا عن عمله على الإطلاق، فعمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه، وكان يسافر ويعود ولا أعرف بسفره إلا بعد عودته وتلك كانت تعليماته لنا، وأصعب اللحظات التى عشتها معه هى فترات الحروب لأننا وقتها ما كنا نعرف عنه شيئا وكان يختفى لفترات طويلة دون أى اتصال بينما جيراننا الضباط كانوا يطمئنون أهليهم إلا «سعد» ما كان يتصل بنا ولا ندرى عنه شيئا. وبالطبع لم يُعلمنا قط عن نية مصر فى دخول الحرب وظل قبل الحرب ثلاثة أشهر لم يحصل على إجازة».

كانت قلوب كل المصريين يملؤها خوف تكرار هزيمة ١٩٦٧م وخوف على أرواح أبنائهم وذويهم المقاتلين على خط النار ولم يكن أمامهم إلا الدعاء والتضرع إلى الله فى طلب النصر ونجاة أبنائنا المقاتلين على خط النار.

وفى يوم ٨ أكتوبر وبعد نجاح العبور وقف جنودنا البواسل بخطى ثابتة وثقة المنتصر على أرض سيناء الحبيبة والفرحة ملء عيونهم وهم يستقبلون الفريق «الشاذلى» فى ميدان القتال ويهتفون بخطبة

(توجيهه ٤١) التى حققوا بها النصر فى مرحلته الأولى، و توجيهه ٤١ هو التوجيه الذى حل فيه الفريق «الشاذلى» ١٣٢ مشكلة كانت تواجه مخطط عبور القناة وتدمير خط بارليف وإقامة رءوس الكبارى شرق القناة، فى إنجاز خارق وغير مسبوق (حسب رواية الخبير العسكرى لواء د. إبراهيم شكيب).

والتف الجنود البواسل حول الفريق «الشاذلى» يهتفون باسمه بفرحة عارمة وثقة هائلة فى أروع حالة معنوية يمكن لقواتنا أن تصل إليها ربما خلال تاريخها العسكرى الحديث كله، ليسجلوا فرحتهم فى تلك اللحظات التاريخية فى لقطات فوتوغرافية التقوا فيها حول الفريق «الشاذلى».

ونجحت المرحلة الأولى من خطة «الشاذلى» ووصل جنودنا إلى عمق ١٢ كم داخل سيناء كما حدد لها «الشاذلى» وهى حدود الغطاء الجوى المصرى واقتحموا خط بارليف ونجح جنودنا فى إسقاط بعض حصونه، وحطموا الأسطورة الكاذبة للجيش اليهودى الذى لا يُقهر. وارتفع العلم المصرى ليرفرف خفاقا على الضفة الشرقية من القناة معلنا انتصار قواتنا على العدو.

وفى يوم ١٠ أكتوبر وطبقا للخطة كان على اللواء أول مشاة أن يتحرك جنوبا فى محاولة لاحتلال منطقة محددة فى تقدم حرج لأنه سيصبح خلال تحركه خارج المظلة الجوية، لذا كانت تعليمات

«الشاذلى» المشددة بأن يتم التحرك بعد آخر ضوء للنهار ليحميهم ظلام الليل فلا يرصده طيران العدو ويدمره، ولكن قائد هذا اللواء لم يتبع تعليمات «الشاذلى» وخالفها بتعجل التحرك قبل الغروب بساعتين، فرصده العدو فى ضوء النهار وتتبعه حتى ابتعد عن مظلته الجوية وانهاى عليه العدو ضربا حتى شتته وقضى عليه تماما.

واتخذ الفريق «الشاذلى» من هذه الواقعة دليلا على صحة تقديراته للمرحلة الأولى من خطته وحرصه على عدم قدرتنا على التحرك بعيدا عن مظلتنا الجوية، وكان «الشاذلى» ينتوى أن يظل فى مواقعه التى اخترقها واحتلها لشهور طويلة حتى ترتبك الحياة فى إسرائيل وينهار اقتصادها فتضعف من الداخل وتسقط فيما بعد من ضربة واحدة عند أول مواجهة مع جيشنا، ولكن ماحدث فى اليوم التالى غير مقاييس خطة «الشاذلى» وأضعفها.

السادات يأمر بتطوير الخطة والشاذلى يعترض:

وكما جاء فى مذكرات الشاذلى: إنه فى يوم ١٢ أكتوبر طلب أحمد إسماعيل من «الشاذلى» تطوير الخطة بقرار سياسى من الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة وذلك للوصول إلى المضائق لتخفيف الضغط على الجبهة السورية، فاعترض «الشاذلى» على تطوير الخطة على هذا النحو فى هذا التوقيت الحرج قبل أن تتاح للمرحلة الأولى من خطته أن

تستقر بما حققته كما رتب لها من قبل ، ورأى أن تطوير الخطة للتحرك نحو المضائق فى هذا التوقيت فيه مخاطرة كبيرة لقواتنا ، خاصة أن قواتنا ستكون خارج غطائها الجوى والمخاطرة ستكون نتيجتها الحتمية تدمير قواتنا ، كما حدث مع لواء المشاة الذى تم تدميره بالكامل فى مساء يوم ١٠ أكتوبر عند محاولته الخروج بعيدا عن المظلة الجوية ، كما رأى «الشاذلى» أن تطوير الهجوم لن يخفف من الضغط على الجبهة السورية عكس ما تصورت القيادة السياسية ، فرفض «الشاذلى» القيام بمحاولة محكوم عليها بالفشل مقدما ؛ حفاظا على قواته ومعداته .

فماذا كان رأى القادة العسكريين فى تطوير الهجوم؟



الفريق الجمسى يكشف حقائق جديدة حول الثغرة

كانت الخطة التى أمر القائد العام (السادات) بتنفيذها فجر ١٤ أكتوبر تتلخص فى عبور الفرقة ١٢ المدرعة والفرقة الرابعة عدا لواء مدرع لتتحرك من غرب القناة فى اتجاه المضائق (اتجاه ممر متلا، وممر الجدى وممر الطاسة وممر بالوطة)، وتنفيذا للأوامر تم إعداد التعليمات الخاصة بتطوير الهجوم، ولكن فور وصول هذه التعليمات إلى قادة الجيشين الثانى والثالث اتصل كل من اللواء سعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل «بالشاذلى» وأعربا عن معارضتهما وعدم قدرتهما على تنفيذ الخطة الجديدة بنجاح فى ظل الظروف المتاحة، وانتهز «الشاذلى» فرصة المعارضة لمعاودة إقناع أحمد إسماعيل بالعدول عن تطوير الهجوم، ولكن كان هناك إصرار من أحمد إسماعيل على ضرورة الالتزام بقرار تطوير الخطة لأنه قرار سياسى، وبناء عليه أصبح على قواتنا أن تشن هجوما بنحو ٤٠٠ دبابة بينما كانت قوة العدو ٩٠٠ دبابة فوق أرض من اختيار العدو وفى ظل تفوق جوى معاد وعدم توفر وسائل دفاع صاروخى لقواتنا المهاجمة، فكانت النتيجة الحتمية هى فشل هذا الهجوم وخسرت قواتنا نحو ٢٥٠ دبابة (رواية الشاذلى نقلا من كتاب «قصتى مع النظام» ص ١٣١)

العدو يتسلل إلى الضفة الغربية فيما عُرف بالثغرة

وفى يوم ١٥ أكتوبر اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم يستطع دفاعنا الجوى أن يسقطها ، لأن ارتفاعها كان خارج مدى صواريخنا ، ثغرة بين الجيش الثالث فى السويس والجيش الثانى فى الإسماعيلية فأبلغت إسرائيل التى تحركت على الفور واستطاع (أرييل شارون) - الذى أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل - قائدا لإحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية - أن يعبر بقواته إلى غرب القناة من هذه الثغرة عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المرة حتى وصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة وبالتدريج ازدادت الأمور سوءا عندما تم تطويق الجيش الثالث بالكامل وأدى ذلك إلى تعقيد مسار الأحداث .

ويصف المشير الجمسى ماحدث فى الثغرة فى ص ١١٣ من كتاب (أسرار الصدام بين الشاذلى والسادات) فيقول:

فى ١٦ أكتوبر وبينما كان أحمد إسماعيل يرافق السادات أثناء إلقاء خطابه أمام مجلس الشعب كان الفريق «الشاذلى» فى مركز العمليات يتلقى بلاغا عن نجاح جماعات صغيرة من العدو بالتسلل إلى الضفة الغربية ، ولكن اتضح فيما بعد أنها حوالى ٣٠ دبابة وكتيبة من جنود المظلات عبرت ليلا! ونظرا لخطورة الأمر تقرر رفع استعداد اللواء ٢٣ ضمن احتياطى القيادة العامة ليتحرك من شرق القاهرة إلى قطاع الجيش الثانى لمعاونته فى القضاء على القوة المتسللة، وعلى ضوء هذه التطورات

حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات واستمع إلى تقرير أحمد إسماعيل. بعدها تقرر إيفاد «الشاذلى» إلى قيادة الجيش الثانى لمنع تدهور الموقف واتخاذ اللازم للقضاء على العدو غرب القناة ومحاولة قفل الثغرة فى شرق القناة. وكنت (الجمسى) على اتصال مستمر بالفريق «الشاذلى» لتبادل المعلومات والآراء.

وخلال يومى ١٩ / ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العدو المدرعة غربا وجنوبا فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إسرائيلى، وقد بذلت قواتنا مجهودا كبيرا خلال هذه الفترة الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى حتى بلغ متوسط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقة الثغرة ٣٣٠ طلعة طائرة خلال المدة من ١٥ / ١٨ أكتوبر وكان ذلك دورا بارزا لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة.

ويستطرد المشير الجمسى فيقول:

وبعد أن ألم الفريق «الشاذلى» بالموقف تماما فى مساء يوم ٢٠ أكتوبر اتخذ القرار الذى يراه مناسبا لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة وهو ضرورة سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو.

وذلك من وجهة نظره لايؤثر فى كفاءة دفاعاتنا فى الشرق، بينما رأى أحمد إسماعيل غير ذلك، وكانت نقطة الخلاف الرئيسة أن أحمد

إسماعيل يرفض رأى «الشاذلى» فى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب، ولحسم الخلاف بينهما رأى «الشاذلى» أن الموقف خطير ويجب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

بعد اجتماع الرئيس مع أحمد إسماعيل الذى استعرض خلاله الموقف اجتمع بالقادة ليلة ٢٠ أكتوبر الذين رأوا أنه لاداعى لسحب قوات من الشرق حسب رؤية الشاذلى، فرفض السادات خطة الشاذلى وأعطى تعليماته لأحمد إسماعيل بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين على أن يتولى الفريق الجسمى رئاسة الأركان. وبعدها اتصل السادات بالسفير السوفييتى لإجراء محاولات وقف إطلاق النار. (من كتاب السادات والبحث عن الذات ص ٢٧٤ وما بعدها)

ولم يتح السادات الفرصة للشاذلى فى هذا الاجتماع أن يشرح خطته الدقيقة التى درس كل جوانبها لمواجهة الثغرة والتى رأى فيها أن انسحاب ٤ لواءات من الخط الثانى من الشرق لن يؤثر فى قواتنا المواجهة للعدو فى الخط الأول مستفيدا من أن الجيش كان فى أروع حالاته المعنوية بعد انتصار العبور، لتظل قواتنا حتى بعد سحب ٤ ألوية متفوقة على العدو فى العُدّة والعتاد، ومتفوقة فى الدفاع وليس الهجوم تحت مظلتنا الجوية.

بينما رأى السادات وقتها أن فكرة الانسحاب قد تعيد إلى أذهان جنودنا وقائع الانسحاب الأليم الذى حدث فى ٥ يونيه ١٩٦٧م فتؤثر

فى معنوياتهم وبالتالى على أداثهم، فكان الخلاف بين «الشاذلى» والسادات حول كيفية مواجهة الثغرة هو الذى انتهى بإقالة «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ورأى «الشاذلى» أن تدخل الرئيس فى قرارات إدارة العمليات العسكرية هو الذى أدى إلى تشتيت الخطة العسكرية التى وضعها «الشاذلى» من البداية، وأن انفراد قائد سياسى يفتقد الخبرة العسكرية بقرار عسكرى فى وقت حرج (وقت الثغرة) وأثناء الحرب دون الالتفات إلى رؤية «الشاذلى» الرأس المدبر للخطة والقائد العسكرى لمعركة العبور ورئيس أركان الجيش كان أحد أسباب اتساع الثغرة.

ورأى «الشاذلى» أيضا أنه لولا تدخل السادات ورفضه خطته للقضاء على الثغرة ما كانت تمت محاصرة الجيش الثالث من العدو، وما كانت الثغرة اتسعت يوما بعد يوم فى مثل هذا التوقيت الحرج حتى اقتربت من مطار فايد.

وقد عبر الخبير العسكرى اللواء د. إبراهيم شكيب عن رأيه فى خلاف الرأى بين الشاذلى والسادات لمواجهة الثغرة:

«إن كلا الرأيين صائبان من منظور العلم العسكرى إلا أننى أختلف مع رأى الفريق «الشاذلى» لفكرته سحب أربعة ألوية من الشرق إلى الغرب لمواجهة الثغرة، وأتفق مع السادات فى أنه لو تم ذلك لأحدث بالفعل إرتباكاً شديداً فى صفوف جيشنا فى سيناء بسبب أن تحرك الألوية

الأربعة بدباباتها من شرق القناة نحو غربها سيثير غبارا هائلا حولها
يلفت أنظار باقى الجيش خاصة أنه لن يكون مفهوما لباقى القوات ماذا
يجرى بالضبط؟ وسيكون تفسيره الوحيد لديها فى هذا التوقيت الحرج
للغاية هو أن قواتنا بدأت فى الانسحاب العام، ومن ثم سيكون له أبلغ
الأثر فى قواتنا المنتصرة وعلى معنوياتهم».

وطبقا لتعليمات الرئيس لم يتم الإعلان عن إقالة الشاذلى، ولكن متى
عرف «الشاذلى» بأمر إقالته، وكيف كان رد فعله؟



إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش!!

الْحَرْبُ، وَاحْتِفَالُ الْمَصْرِيِّينَ بِانْتِصَارِهِمْ فِي الْعُبُورِ وَتَابَعُوا عَلَى
شَاشَةِ التِّلْفَازِ صُورَ لِلْقَادَةِ الْمَكْرَمِينَ مِنْ أَبْطَالِ أُكْتُوبَرِ وَالرَّئِيسِ
السَّادَاتِ يَقْلِدُهُمُ الْأُوسَمَةُ وَالنِّيَاشِينَ، بَيْنَمَا غَابَ الْفَرِيقُ «الشَّاذِلَى» قَائِدُ
مِلْحِمَةِ النُّصْرِ عَنْ مَشْهَدِ التَّكْرِيمِ.!

وَمَا حَدَثَ هُوَ إِنَّهُ فِي ١٢ يَنَائِرِ ١٩٧٤مَ اتَّصَلَ بِهِ وَزِيرُ الْحَرْبِيَّةِ
أَحْمَدُ إِسْمَاعِيلُ وَطَلَبَ مُقَابَلَتَهُ، لِيَعْلَمَهُ بِقَرَارِ الرَّئِيسِ بِإِقَالَةِ «الشَّاذِلَى»
مِنْ مَنَصِبِهِ كَرْنِيسٍ لِأَرْكَانِ حَرْبِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ وَأَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ أَصْدَرَ
فِي نَفْسِ الْوَقْتِ قَرَارًا جُمْهُورِيًّا بِتَعْيِينِ «الشَّاذِلَى» بِالْخَارِجِيَّةِ سَفِيرًا
لِمِصْرَ بِالدرْجَةِ الْمُتَمَازَةِ تَكْرِيمًا لِدَوْرِهِ فِي حَرْبِ أُكْتُوبَرِ.

لَكِنْ «الشَّاذِلَى» اعْتَذَرَ لَوْزِيرِ الْحَرْبِيَّةِ عَنْ قَبُولِهِ مَنَصِبِ السَّفِيرِ وَرَأَى
إِنْ كَانَ هَذَا التَّعْيِينُ عِقَابًا لَهُ فَهُوَ يَفْضَلُ التَّحْقِيقَ لِإِظْهَارِ الْحَقَائِقِ، وَأَبْدَى
اسْتِعْدَادَهُ لِلْمَحَاكِمَةِ، وَأَصْرَ «الشَّاذِلَى» عَلَى الرِّفْضِ وَقَشَلَتْ مَسَاعِي الْوَزِيرِ
فِي إِقْنَاعِهِ بِقَبُولِهِ الْعَمَلِ سَفِيرًا بِالْخَارِجِيَّةِ، وَأَنْهَى «الشَّاذِلَى» الْمُقَابَلَةَ
بِتَحْرِيرِ اعْتِذَارٍ كِتَابِيٍّ عَنِ الْعَمَلِ بِالْخَارِجِيَّةِ لِتَسْلِيمِهِ لِلرَّئِيسِ السَّادَاتِ.
وَبِرْغَمِ ذَلِكَ سَارَتْ إِجْرَاءَاتُ تَعْيِينِ «الشَّاذِلَى» فِي الْخَارِجِيَّةِ فِي
مَسَارِهَا، حَتَّى فُوجِئَ بِخَبَرِ تَعْيِينِهِ سَفِيرًا بِلَنْدُنِ مِنْشُورًا بِالصَّحَفِ

فسارع «الشاذلى» بطلب مقابلة الرئيس السادات الذى كان وقتها بأسوان وتحدد فيما بعد موعد المقابلة فى أسوان يوم ١٦ يناير ١٩٧٤م. وسافر الفريق «الشاذلى» بالطائرة إلى أسوان على نفقته الخاصة لمقابلة الرئيس ووصف «الشاذلى» لقاءه بالرئيس أنه كان لقاء وديا لم يخل من نبرة عتاب من الرئيس على رفض «الشاذلى» تعيينه بالخارجية، وطال بينهما ذلك النقاش الودى حتى استطاع الرئيس بذكائه وحنكته أن يتفهم وجهة نظر «الشاذلى» فى الرفض وذلك لمعرفة بعشق «الشاذلى» للعمل فى الجيش، ولكن السادات نجح بثنائه على «الشاذلى» ومدح كفاءته العسكرية أن يقنعه أن اختياره للخارجية كان بسبب خبرته العسكرية المتميزة وثقة الرئيس فيه، بعدما أفهمه أن تعيينه فى لندن سيكون مجرد تغيير لمكان عمله العسكرى، لأن مهمته هناك ستكون مهمة عسكرية وسرية، وتحتاج إلى رجل فى كفاءة «الشاذلى» وعهد إليه الرئيس بالاتفاق على صفقات أسلحة لمصر من ألمانيا، وأقنعه أن وجوده فى لندن سيسهل مهمته العسكرية الجديدة هناك.

واقتنع «الشاذلى» برأى الرئيس الذى استشعر فيه الثقة، واعتبره ترضية كافية وتعويضا عن إقالته من الجيش، خاصة أن عمله فى لندن سيكون امتدادا لعمله العسكرى لخدمة القوات المسلحة، وعلى هذا النحو اعتبر «الشاذلى» أن عمله فى لندن سيكون بالفعل نوعا من التكريم، خاصة أنه كانت «للشاذلى» خبرة سابقة فى العمل بلندن

فى عهد عبدالناصر عندما كان ملحقا حربيا لمصر هناك فى الفترة من ١٩٦١م إلى ١٩٦٤م بعد عودته من الكونغو.

ووقتها - ١٩٦١م - وجد «الشاذلى» فى هذا التكليف من الرئيس عبد الناصر تكريما خاصا له وأضاف إلى خبرته العملية الكثير، فأول مرة ركب فيها «الشاذلى» حاملة طائرات كانت فى لندن، وحضر أيضا مناورات للجيش البريطانى لمدة أسبوع كامل ومتواصل هناك، ليتعرف خلاله إلى الأسلحة الحديثة ويتدرب على استخدامها، واكتسب ثقافة وخبرة الاحتكاك بالقوات الأجنبية، والتقى بالقيادات العسكرية هناك فى كثير من المناسبات وقام بمناقشاتهم فى كثير من الأمور العسكرية. وكانت تجربة «الشاذلى» فى لندن وقتها بالقطع إضافة لحصيلته السياسية والدبلوماسية والعسكرية فى ذاك الوقت. واستفاد «الشاذلى» من هذه الخبرة بتطبيقها أثناء إعادة إعداد الجيش المصرى لحرب أكتوبر.

وقبل سفره بأيام قليلة قابل اللواء رفعت حسنين نائب مدير المخابرات العامة وأخبره أن لديه معلومات تفيد بأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن خصيصا لاغتيال الفريق «سعد الشاذلى» هناك، وأن المخابرات الإنجليزية لديها المعلومات نفسها ونصح «الشاذلى» بالحذر الشديد وعدم الإعلان عن موعد سفره لىبقى سرا لإحباط محاولة اغتياله ! ولكن ما أن وصل الفريق الشاذلى إلى لندن حتى وجد متاعب ومفاجآت مذهلة كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانته !!

مفاجأة مذهلة للشاذلي في لندن!!

استقبلت

المتاعب والمفاجآت السفير «الشاذلي» عند وصوله إلى لندن عندما بدأ في مواجهة حملة صهيونية ضد تعيينه سفيراً لمصر هناك. وكتب عنها وقتها موسى صبرى بجريدة الأخبار في ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م الذي كان يعرف الفريق «الشاذلي» عن قرب وسبق له أن أجرى معه حوارات بعد نصر أكتوبر من قبل، وجاء في عرضه لاتهامات الصهيونية ضد السفير «الشاذلي»: إن هذه الحملة كانت تعتمد على اتهامين، الأول أن «الشاذلي» عندما كان ملحقا حربيا في لندن في الستينيات كان على علاقة بالحزب اليميني المتطرف (وهو حزب غير معترف به في بريطانيا) الذي كانت سياسته تتسم بالعداء للسامية، وأن «الشاذلي» كان يقوم بتشجيع الحزب وأكد «الشاذلي» مدافعا ضد هذا الاتهام أنه اتهام باطل فلا يمكن له أن يكون ضد السامية لأنه عربي وأصول العرب التاريخية من أصل سام. والفرق كبير بين الخلاف مع إسرائيل كعدو وبين معاداة السامية وأنكر «الشاذلي» هذا الاتهام.

أما الاتهام الثاني فكان مفاده أن «الشاذلي» عندما كان رئيسا لأركان حرب الجيش المصري خلال معارك أكتوبر أمر بقتل الأسرى الإسرائيليين، والحقيقة أن «الشاذلي» لم يُصدر هذا الأمر سواء قبل

العمليات الحربية أو أثناءها أو حتى بعدها ، لكنه أصدر توجيهه لقواته بتوخى الحذر الشديد عند مواجهة العدو تجنباً لمكر العدو وخداعه ، وأصدر أوامره بالإسراع بالإجهاز على العدو وقتله وهذا أمر طبيعي في المعارك ، فلا يُعقل أن يوصى جنوده وضباطه أن يقابلوا عدوهم عند مواجهته بالأحضان والقبلات. وهكذا فشلت القوى الصهيونية في عرقلة تعيين «الشاذلى» سفيراً لمصر في لندن. (انتهت الفقرة المختصرة من مقال موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م)

ولم يعبأ السفير «الشاذلى» بهذه المتاعب المفتعلة وجعل تركيزه الأول فى مهمته العسكرية التى أتى من أجلها وبادر بتحديد موعد لمقابلة السفير الألمانى ليتعرف إلى فرص التعاون العسكرى المرتقب بين مصر وألمانيا والتى جاء خصيماً للاتفاق عليها ، وتوقع «الشاذلى» أن المقابلة قد تطول ، ولكن المفاجأة التى كانت بانتظاره جعلت المقابلة تنتهى فور بدايتها وانتهت بدهشة «الشاذلى» بعدما عرف من السفير الألمانى أنه ليس هناك نية فى مساعدة مصر بتسليح ألمانى ، فاكتشف «الشاذلى» لحظتها أن المهمة التى كلفه بها السادات كانت فكرة وهمية ليس لها أى أساس من الصحة ، وأن مجيئه إلى لندن والعمل بالخارجية كانت محاولة من السادات لإبعاده وإقصائه عن مصر بعد تألقه وانتصاره (روزاليوسف ، ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٥م).

وبالرغم من أن عمل «الشاذلى» سفيراً بالدرجة الممتازة ليس بالمنصب الهين فإن وقع المفاجأة كان كبيراً عليه ، وزاد من دهشته الثقة التى

كانت بينه وبين الرئيس، فسبق أن حظى «الشاذلى» بتقدير السادات من قبل بترقيته رئيسا للأركان متخطيا بترقيته ٤٠ لواءً من زملائه، وعهد إليه الرئيس بوضع مشروع استراتيجى لإعادة إعداد الجيش لمعركة النصر قبل وبعد إجلاء الروس عن مصر، والسادات هو الذى وافق من قبل ذلك «للشاذلى» بإجراء مباحثات مع بعض الدول العربية لدعم مصر فى حرب أكتوبر وأنت ثمارها فى نصر أكتوبر، والسادات هو الذى كلف «الشاذلى» بوضع خطة العبور والتي نجحت المرحلة الأولى منها نجاحا باهرا أذهل العالم.

وبرغم ذلك أحدثت هذه الواقعة شرخا كبيرا فى جدار الثقة الذى كان يرتكن عليه «الشاذلى» فى علاقته بالرئيس السادات، واكتشف «الشاذلى» وقتها بُعد المسافة التى تفصل بين تفكيره كرجل عسكرى محترف، وتفكير الرئيس السادات ودهائه السياسى، فالسياسة متخمة بالألأعيب ولها قواعد كان السادات يتقنها جيدا ويمارسها ببراعة فائقة.

ولكن لأن الفريق «الشاذلى» كان يتمتع بشخصية صلبة وعنيدة فى مواجهة مثل هذه الصدمات، فلم يدع الفرصة لصدمة فى السادات أن تنال منه وأخذ يمارس عمله الدبلوماسى بمنتهى الحماسة للعمل والاستمتاع به. وتحكى السيدة عبلة عادل خيرى عن واقعة لقائها بالسفير «سعد الشاذلى» أثناء عمله سفيرا لمصر بلندن فى أواخر ١٩٧٤م قالت عنها:

«استقبلنى السفير المصرى الفريق «سعد الشاذلى» مع أسرته فى السفارة المصرية بلندن حيث أقام لى حفل تكريم كبير دعا إليه كبار الشخصيات والإعلاميين والسفراء للاحتفال بى هناك فور إعلان وسائل الإعلام العالمية نجاحى فى عبور المانش، وكنت وقتها أول فتاة عربية مصرية تنجح فى عبور المانش وكان عمري وقتها ١٥ عاما، وكنت قد حققت بعبورى هذا رقما قياسيا عالميا كأصغر سباحة فى العالم آنذاك، وكان نجاحى حدثا عالميا وفخرا لمصر نلت عنه التكريم، وكتبت عن نجاحى الصحف المصرية والأجنبية، وكان السفير «الشاذلى» فخورا بإنجازى وعبر عن ذلك فى كلمته التى ألقاها أمام ضيوف الاحتفال الذى أقامه خصيصا لى فى السفارة المصرية وصف فيه نجاحى بأنه ثانى عبور ناجح للمصريين، وكان حفل تكريمى من السفير «الشاذلى» هو أول تكريم حصلت عليه قبل عودتى منتصرة لمصر، وظل ذكرى سعيدة لأسرتى لأول وآخر لقاء جمعنا بسفير مصر فى لندن الفريق «الشاذلى».

واستمر «الشاذلى» فى عمله الدبلوماسى بنفس حماسه المعبود يعقد اجتماعاته ويحضر مؤتمرات ولقاءات ويدلى فيها بتصريحاته كقائد عربى منتصر، لكنه لم ينس أبدا فى ممارسته لعمله الدبلوماسى أنه تابع للسلطات المصرية، وبرغم ذلك كان قدره أن تلاحقه المتاعب أينما ذهب فكانت المفاجأة الجديدة هى استدعاء وزير الخارجية إسماعيل فهمى للسفير «الشاذلى» بشكل طارئ للقاهرة للتحقيق معه بشأن ما نسب إليه مؤخرا من تصريحات.

المتاعب تلاحق السفير. الشاذلى. فى لندن

الكاتب الصحفى موسى صبرى يكتب فى الأخبار فى عاد ١٨ / ٩ / ١٩٧٤م تحت عنوان (حاقدون... حاقدون) عن أسباب استدعاء وزير الخارجية للشاذلى فى مصر وجاء فى مقاله:

نشأت قصة غريبة بين (السفير) الصحيفة و(السفير) الرجل «سعد الشاذلى»، والسفير صحيفة مجهولة للقراء فى مصر وصدرت من بيروت، وكانت قد نشرت تصريحات كاذبة للسفير «سعد الشاذلى» وادعت الصحيفة فيها بما لا يجب أن يصدر عن ممثل سياسة مصر بالخارج وجاء فيما نشرته «إن «الشاذلى» سفير مصر حضر اجتماعا فى النادى المصرى بلندن للطلبة العرب كان قد أقيم لتكريمه تقديرا لدوره فى حرب أكتوبر، وبالرغم من أن «الشاذلى» اشترط فى أسئلة الحاضرين ألا يكون فيها أى مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، فإن الصحيفة ادعت باطلا أن السفير «الشاذلى» ورد فى إجاباته:

أنه اتهم القيادة السياسية فى مصر بأنها تراجعت خلال حرب أكتوبر عن الاستراتيجية التى كانت تعتمد عليها من قبل مما أدى إلى حدوث الثغرة وخروج مصر من المعركة، وأن القيادة المصرية استهانت وقللت من أهمية الثغرة فى المراحل الأولى إلى أن حدثت الثغرة (وهذا

مالم يصدر عن الشاذلى)، كما ادعت الصحيفة أن السفير «الشاذلى» طالب الشباب الثورى المثقف بأن عليه أن يعمل على ألا تخرج مصر من المعركة (وهذا مالم يصدر عن الشاذلى) بينما كانت الحقيقة أن «الشاذلى» طالب بمساندة مصر ودعمها لأن انتصارها فى أكتوبر كان نصرا لكل العرب وأن معركتنا مع إسرائيل لم تنته بعد، وأسرفت الصحيفة وبالغت فى ادعاءاتها الكاذبة التى أخرجت بها «الشاذلى» مع القيادة السياسية فى مصر، وادعت أن «الشاذلى» وصف نفسه بالزعيم القادم لمصر (وهذا أيضا لم يصدر عن «الشاذلى») فهل كان «الشاذلى» بالفعل صاحب هذه التصريحات أم كان مُقتري عليه ؟

ويستكمل موسى صبرى فى مقاله فيقول:

فى لقاء «الشاذلى» مع الوزير إسماعيل فهمى بالقاهرة كذب «الشاذلى» كل هذه الادعاءات ووصفها بأنها ملهاة تافهة وساذجة وملينة بعبث مسئولية الكلمة، وأكد على حقيقة أنه لما علم بأن الاجتماع (موضوع الخلاف) كان يضم ممثلين لاتجاهات سياسية عديدة (شيوعية وبعثية وغربية وشرقية وسوفييتية وصينية وغيرها) نبه «الشاذلى» الجميع أنه لن يسمح بأى كلمة بها مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، وأنه اشترط وأكد على الحاضرين أنه سيضطر إلى رفض الإجابة عن أسئلة معينة حفاظا على مسئولية موقعه الدبلوماسى، وأن إجابته عن الثغرة ذكر فيها أنها حدثت نتيجة أخطاء وأنه كان يمكن القضاء عليها فى المراحل الأولى، وأنه بدافع وطنيته وحبه لمصر دعا الدول العربية

بتحمل أعباء الحرب مع مصر ومساندتها، وأكد على ولائه للقيادة السياسية في مصر وأنه جندي في معركة بلاده أيا كان موقعه، وأن ما حدث هو مؤامرة واضحة للعيان ضده وضد وطنه مصر تهدف إلى تشويه الانتصار المصري وإفساد علاقته بالسلطات المصرية التي يعمل تحت لوائها ووصفهم بالحاquدين. وأكد «الشاذلي» أن بعض الحاقدين قد يتصورون بفعلتهم هذه وبتحريفهم لكلماته أنهم سينجحون في تجريح ولائه لمصر ووطنيته بعدما نسبوا إليه كلاما لم يصرح به، كما أكد «الشاذلي» في اجتماعه (موضوع الخلاف) تعتمد إسرائيل المراوغة لكسب الوقت الذي يتيح لها تضديد جراح معارك أكتوبر لتستعد لشن حرب مفاجئة ضد العرب للثأر من هزيمتها في حرب أكتوبر:

وهكذا نجح السفير «الشاذلي» في إقناع وزير الخارجية بوجهة نظره وانتهت الأزمة بعد التوضيح الذي قدمه في القاهرة وعاد «الشاذلي» إلى عمله في لندن.

اشتعال الخلاف بين الشاذلي والسادات:

تتابعت المتاعب على حياة السفير «الشاذلي» في لندن، ويحكي «الشاذلي» عنها في حلقة من مذكراته في (جريدة الأحرار) ذكر فيها أن الرئيس السادات أجرى حديثا مع سليم اللوزي رئيس مجلة الحوادث وألقى فيه الرئيس بمسئولية الثغرة كاملة على الفريق «الشاذلي» وأرجعها لمخالفة «الشاذلي» توجيهاته، كما ذكر إن الفريق «الشاذلي»

عاد من الجبهة أثناء حرب أكتوبر منهارا فاضطر السادات إلى السعي لوقف إطلاق النار إنقاذا للموقف.

أزعجت «الشاذلى» هذه التصريحات حتى إنه وصفها بادعاءات باطلة وأنكرها وأسرع ليعلم فى حفل دعا إليه العديد من السفراء فى بريطانيا إنكاره لاتهام السادات له بالانهيار، وأعلن أنه لو كان السادات اهتم برأى «الشاذلى» لقضى على الثغرة فى زمن قياسى وتجنب خسائر كبيرة تكبدتها القوات المسلحة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك بل ذكر أن خلافه مع السادات حول الثغرة كان بسبب أن السادات يفتقد الخبرة القتالية فى ميدان القتال، فقد قضى سنوات كثيرة من حياته العسكرية بين السجون السياسية قبل أن يصل إلى قمة السلطة السياسية فى مصر، وأن السادات لم يشارك فى أى حرب ولا يعرف أجواءها وأهوالها التى يعرفها «الشاذلى» جيدا وتدرّب على مواجهتها مرات ومرات، فلم يصب «الشاذلى» ولا مرة فى أشرس المعارك وخلال تاريخه العسكرى الطويل (ربع قرن) بما أسماه السادات الانهيار، وفى نهاية اللقاء أكد «الشاذلى» أن السادات هو الذى انهيار نفسيا وليس «الشاذلى».

للمرة الثانية وزير الخارجية يستدعى الشاذلى فى القاهرة!

وعلى ضوء هذه التصريحات استدعى وزير الخارجية «الشاذلى» إلى القاهرة وطالبه بتكذيب كلامه ولكن «الشاذلى» رفض، فما كان أمام

السادات لمعاقبة «الشاذلى» على تصريحاته إلا أن أصدر قرارا بنقل «الشاذلى» إلى البرتغال عقابا له على تصريحاته بعد عام واحد قضاء سفيراً لمصر بلندن.

وكتبت جريدة الأهرام فى ١ / ٨ / ١٩٧٥م خبر استقبال ملكة إنجلترا السفير «سعد الشاذلى» بمناسبة انتهاء مهمته الدبلوماسية فى لندن، لينتقل بعدها سفيراً لمصر فى البرتغال ويتولى عمله الدبلوماسى الجديد هناك مع بداية سبتمبر ١٩٧٥م.

فهل انتقال «الشاذلى» من لندن إلى البرتغال وضع نهاية لمثاعبه؟



أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال

فقد «الشاذلى» بنقله إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م الكثير من الامتيازات التى كان يتمتع بها فى لندن كواحدة من كبرى العواصم الأوروبية، ولكنه لم يسمح لأى مشاكل أن تنال من حماسه وتقلل من عزمته فى أداء مهامه الدبلوماسية فى البرتغال، فقد كان «الشاذلى» محبا للحياة مهما كانت تقلباتها، شغوبا بعمله أيا كان موقعه، فمهما تغيرت ظروفه لم يؤثر أى تغيير فى شخصيته، فظل يواصل عمله بنفس الحماس ويدين بولائه الصادق لوطنه مصر، وكان إحساسه بالظلم كان يزيده عنادا وإصرارا على النجاح، فانطلق بنشاطاته فى البرتغال التى لفتت إليه الأنظار وزادت من شهرته هناك، بدأها بتعلم اللغة البرتغالية لغة البلد التى يعمل بها.

وحول ذكرياته فى البرتغال أجرت زوجته حوارا قصيرا نُشر فى جريدة الشعب فى ٥ مارس ١٩٩٢م بعد عودتها من الجزائر للقاهرة تحدثت فيه عن ذكرياتها مع «الشاذلى» فى البرتغال فقالت:

«فورانتقالنا إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م بدأ السفير «الشاذلى» بإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية فى محاولة جادة لنشرها بين شعب البرتغال، وجعل من بيته أول مكان يُرفع منه أذان الصلاة منذ أن ترك

المسلمون البرتغال فى العصور القديمة، بعد أن حول الدور الأرضى من منزله إلى جامع يقصده مسلمو البرتغال للصلاة، وكان حارس المنزل يقوم برفع الأذان للصلاة، ثم حل محله السائق التركى للسفير الذى لم يكن يعرف من العربية سوى كلمات الأذان والإقامة، ومع مرور الأيام أصبح بيت «الشاذلى» مكانا يقصده المسلمون للاحتفال هناك بأعيادهم فكانوا يقضون مع أسرهم احتفالات العيد فى بيت السفير «الشاذلى»! وأول هذه الاحتفالات كانت حدثا كبيرا تحدثت عنه الصحف وحضره الصحفيون والمصورون.

لازال الحديث لزوجة «الشاذلى»:

وشجع ذلك السفير «الشاذلى» أن يطلب من الحكومة البرتغالية التصريح ببناء مسجد للمسلمين هناك، وصدر التصريح بالفعل وتم جمع التبرعات لبنائه ووضع «الشاذلى» حجر الأساس وأقيم المسجد على مساحة كبيرة، وأرسل «الشاذلى» إلى مصر فى طلب داعية من الأزهر، وتم استئجار شقة للشيخ الداعية كانت إحدى غرفها مدرسة لأبناء الجاليات الإسلامية ليتعلموا فيها الإسلام، إلى جانب أنشطة ثقافية أخرى وضع بها «الشاذلى» بصماته فى البرتغال خلال ثلاث سنوات متتالية قضاها هناك من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م لتزيد إنجازاته الخيرية والإنسانية فى البرتغال من شهرته هناك. {إلى هنا انتهى حوار زوجة الشاذلى جريدة الشعب}

السادات يعاود مهاجمة الشاذلى من جديد

فى إبريل ١٩٧٨م صدر للرئيس السادات الطبعة الأولى من كتابه «البحث عن الذات» الذى سجل فيه للتاريخ مسئولية «الشاذلى» عن الثغرة وذلك فى الفقرة الثانية من صفحة ٢٧٣ من الكتاب والتى جاء فيها :

إنه فى يوم ١٦ أكتوبر أرسل الرئيس السادات رئيس الأركان الفريق «سعد الشاذلى» للتعامل مع الثغرة ورأى السادات أنه كان من السهل جدا التعامل مع الثغرة فى ذلك اليوم ولو أن «الشاذلى» نفذ ما طلبه السادات منه والفريق أحمد إسماعيل فى التوقيت الذى حدده السادات له لأصبح من السهل القضاء على الثغرة، ورأى السادات إنه كان فى إمكان «الشاذلى» أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات، فاتهم «الشاذلى» بإضاعة الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل.

وأضاف السادات فى نفس الصفحة من كتابه :

إن قوات الصاعقة كانت قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة.... ولكن «الشاذلى» أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

وكان «الشاذلى» يرى ضرورة سحب بعض قواتنا من شرق القناة للمعونة فى القضاء على الثغرة لأن الغرب مهدد... بينما رأى السادات

أن هذا ما كان يريده الإسرائيليون... فذهب الرئيس في منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر إلى القيادة حتى يتخذ قرارا مهما بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأن السادات جمع القادة في هذه الليلة وكانوا جميعا من رأى السادات بعدم سحب قوات من الشرق، فأعطى السادات الأمر بأن لا ينسحب جندي واحد ولا بندقية واحدة ولا أى شيء من شرق القناة وأن التعامل مع الغرب يتم حسب الأوضاع الموجودة ورفض السادات بذلك خطة الشاذلى لمواجهة الثغرة. إلى هنا انتهت فقرة أسباب عزل السادات للشاذلى التى وردت فى كتاب (البحث عن الذات) وكانت سببا فى اشتعال الخلاف بين «الشاذلى» والسادات.

ومما زاد من غضب «الشاذلى» أن السادات ذكر فى كتابه نفس تصريحه من قبل أن الشاذلى عاد منهارا فى ١٩ أكتوبر، فاضطر السادات أن يعطى تعليماته فى هذه الليلة بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان. ذلك لأن «الشاذلى» رأى أن تصريحات السادات فى كتابه حملت الكثير من المغالطات ووصفها بأنها تصريحات ظالمة وكاذبة لأن فيها إدانات وتلميحات بتقصير «الشاذلى» فى واجبه العسكرى فى أيام الثغرة ومخالفته لتعليمات الرئيس، وكان رأيه أن هذا لم يحدث.

وفى ١٩ يونيه ١٩٧٨م قام «الشاذلى» بالرد على ادعاءات السادات فى مؤتمر صحفى كبير فى سفارة مصر بالبرتغال ضم العديد من الشخصيات الدبلوماسية الهامة دافع فيه «الشاذلى» عما أسماه سمعته

العسكرية وأنكر وبإصرار ما ورد في كتاب السادات من انهياره. وذكر أن السادات هو الذى انهار مرتين فى أيام الثغرة ووصف زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧م بأنها خطأ سياسى من السادات، ورأى أن الخطأ الثانى الذى ارتكبه السادات هو إقباله على كتابة مذكراته وهو لا يزال فى السلطة ووصفها «الشاذلى» بأنها أول حالة لرئيس دولة فى العالم يكتب مذكراته وهو فى السلطة .

وحول حقيقة انهيار «الشاذلى» جاء فى شهادة محايدة للمشير الجسمى سجلها للتاريخ فى صفحة ١١٦ من كتاب محمود فوزى (أسرار الصدام بين السادات والشاذلى): أن «الشاذلى» عندما عاد من الجبهة فى ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته بعد الحرب.

إحالة الشاذلى إلى محكمة القيم!

وظل إحساس «الشاذلى» بالظلم يشعل فى صدره غضبا لا يهدأ دفعه بالإخلال بواجبات وظيفته الدبلوماسية، فبحلول شهر يونيه ١٩٧٨م بدأ «الشاذلى» بالتهجم على النظام فى مصر ولم يلتفت إلى أن عمله جزء من منظومة الدولة التابع لها (مصر). وسجل مبرراته وأسبابه فى خطاب ووزعه على وكالات الأنباء فى البرتغال، وكان لهذا العمل رد فعل أغضب السلطات فى مصر فأصدر وزير الخارجية وقتها محمد

إبراهيم كامل فى ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨م قرارا بوقف السفير «الشاذلى» عن العمل سفيرا لمصر فى لشبونة بالبرتغال لإخلاله بواجبات وظيفته واستدعائه للعودة والمثول أمام مجلس تأديب وفقا لقانون السلك الدبلوماسى والقنصرى. (خبر بالأهرام بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨).

فى الوقت الذى قابل فيه السادات مهاجمة «الشاذلى» وتحديه له بقرار إحالة «الشاذلى» إلى المدعى الاشتراكى الذى قرر بدوره إحالة «الشاذلى» إلى محكمة القيم، والتى قضت وقتها بحرمانه من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات.

وبرغم ذلك، لم تنل هذه الأحكام من إصرار «الشاذلى» على استمراره فى الدفاع عن نفسه ضد تصريحات السادات لأنه كان يرى أن هذه الأحكام ظالمة وإحساسه بالظلم كان أكبر من أى عقاب، وعندما تمت اتفاقية كامب ديفيد فى نفس العام ١٩٧٨م انتهزها «الشاذلى» فرصة ليوجه لبنودها انتقادات حادة وأكد أنها لصالح إسرائيل وضد مصلحة مصر، وحذر من آثارها السلبية مستقبلا فى مصر.

هذه المرة دفع «الشاذلى» ثمنا باهظا لتهمجه على النظام فى مصر وخروجه على العرف الدبلوماسى وذلك بفصله من منصبه سفيرا لمصر بالبرتغال لتنتهى بذلك مهمته الدبلوماسية فى البرتغال.

وأصبح على «الشاذلى» إما أن يعود إلى وطنه مصر لينال عقابه، أو أن يختار أن يعيش فى بلد آخر، ولما خشى العودة إلى مصر تحسبا للانتقام

السادات، فأراد أن يتجنب تلك المخاوف باختياره الجزائر ليعيش فيها، إذ كانت الجزائر في ذاك الوقت بلدا ديمقراطيا تحكمها جماعات (مجلس قيادة الثورة)، إلى جانب أن الجزائر كانت من الدول المعارضة لاتفاقية كامب ديفيد، وكانت من الدول المقاطعة لمصر آنذاك، وجاء اختياره هذا تجنباً لوقوعه تحت سيطرة الحاكم في أى دولة عربية أخرى خاصة بعد رفضه لطلب الرئيس صدام حسين في استضافته في العراق. عاش «الشاذلى» بها ١٤ عاما منذ مغادرته البرتغال ١٩٧٨م حتى عودته لمصر ١٩٩٢م. فهل انتهت متاعبه بانتقاله للجزائر؟



الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة

«الشاذلى» ليعيش فى الجزائر ضيفا سياسيا يقيم على نفقته الخاصة ولم يكن لاجئا سياسيا، وهناك وجد الحياة الآمنة التى انتقل كان يبحث عنها فقد رحبت السلطات باستقباله وامتدت إقامته فيها ١٤ عاما من ١٩٧٨م حتى عودته لمصر فى ١٩٩٢م، وحظى «الشاذلى» هناك بإقامة فاخرة وحفاوة بالغة تكريما لمكانته العسكرية فى الوطن العربى كقائد أول حرب عربية منتصرة فى تاريخ العرب الحديث، وهناك وجد الفرصة لانطلاق نشاطاته الكثيرة التى تحدى بها غربته وقاوم بها وحشة البعاد عن وطنه، فاقتنى فى منزله مكتبة هائلة ضمت أكثر من ٥٠٠ كتاب تحمل عناوين هامة سياسية وعسكرية وإنسانية تعكس شغفه بالثقافة والمعرفة، وكان «الشاذلى» يُدعى إلى المؤتمرات والندوات متحدثا ليلقى فيها محاضراته.

وأصدر هناك جريدة «الجبهة» ليكتب مقالاته الشهيرة على صفحاتها واتخذ منها متنفسا يكتب فيها عن ظلم السلطات المصرية له ويدافع عن نفسه ويعارض على صفحاتها بنود اتفاقية كامب ديفيد التى أبرمها السادات مع إسرائيل وجعلت من سيناء منطقة منزوعة السلاح، واستمر نشاطه فيما أسماه (الجبهة الوطنية المصرية بالخارج)

والتي ضمت ٥١ شخصية مصرية كانت من بينها د. حكمت أبو زيد
الوزيرة السابقة، وعبد المجيد فريد الوزير السابق، ومحمود أمين
العالم الكاتب وغيرهم، لإعلان معارضتهم سياسة الحكم في مصر،
ونتيجة ذلك أعلن المدعى العام الاشتراكي في مصر إحالة «الشاذلي» و٨
آخرين إلى محكمة القيم وإبلاغ نيابة أمن الدولة لمحاكمتهم جنائيا.

كما نشرت جريدة الأحرار في ١ / ١٠ / ١٩٨١م أن «الشاذلي» اتهم
الرئيس السادات بالخيانة والعمالة.. وأذاع ذلك في إذاعات العالم
ونشره في المجلات الأجنبية ودول الرفض العربية، ولم يكتفِ
«الشاذلي» بذلك ليطلق غضبه وشعوره بالظلم الحبيس ب صدره، بل أرسل
خطابا إلى النائب العام المصري من قبل في ١٩٧٩م يطلب منه أن يحاكم
الرئيس السادات وأرفق بخطابه صحيفة اتهام الرئيس وذكر فيها
للنائب العام أن شرط حضوره لمصر هو أن تتم محاكمته علانية تجنبا
لانتقام السادات منه، فبدون المحاكمة قد يسجنه السادات أو يقتله.
(المذكرة وردت في مذكرات الشاذلي وهذه كانت تصورات الشاذلي)

حرمان الشاذلي. من حقوقه السياسية وفرض الحراسة على أمواله
وفي ١٥ / ١١ / ١٩٨١م قضت محكمة القيم بحرمان «الشاذلي»
وآخرين من أعضاء (الجبهة الوطنية المصرية) من حقوقهم السياسية
وفرض الحراسة على أمواله وممتلكاته، وجاء في قرار المحكمة أن

قانون حماية القيم من العيب رتب المسألة السياسية حيال كل ما نشر أو أذيع من شأنه الإضرار بمصلحة البلاد القومية. وحيث إن المتهمين لم يحضروا فقضت المحكمة بحكمها غير القابل للمعارضة.

الشاذلى يرد على اتهامات السادات بمذكراته عن حرب أكتوبر

وزادت هذه الأحكام من إحساس «الشاذلى» بالظلم من الأحكام التى تتوالى ضده بينما السادات ينعم بمدح كتابه (البحث عن الذات) الذى احتوى فى رأى «الشاذلى» على كثير من المغالطات، وكان من الصعب حسب شخصية «الشاذلى» العنيد فى الحق أن يستسلم لشعوره بالظلم، وما كان يرضيه ويضمد جراحه وينصفه أمام التاريخ إلا إتمامه لكتابة مذكراته عن حرب أكتوبر والتى كان قد بدأها فى البرتغال، ليدافع فيها باستفاضة عن سمعته العسكرية ويرد فيها بالوقائع المؤرخة والتفاصيل العسكرية الدقيقة على ما رأى أنها ادعاءات باطلة من السادات، ويكشف من وجهة نظره الحقائق بالدلائل والأرقام والحسابات والتواريخ الدقيقة على الأحكام التى صدرت ضده فى مصر والتى وصفها بالظلمة.

ولم يتصور «الشاذلى» بعد انتهائه من تأليف مذكراته عن حرب أكتوبر فى كتاب أن نشر الكتاب سيلاقى صعوبات بالغة فى الدول الأجنبية، فبالقطع ما كان يمكن لهذا الكتاب وما يحمله من هجوم ضد

السادات أن يصدر فى مصر، ولكن ابنته (شهدان الشاذلى) التى كانت تعيش وقتها مع زوجها فى أمريكا ذللت له الصعاب، وقامت بنشر مذكرات والدها عن حرب أكتوبر بعدما رفض ناشرون فى الخارج نشر هذه المذكرات، واضطرت إلى طبع الكتاب على نفقتها الخاصة لتكون لها اليد الطولى فى إظهار براءة والدها للتاريخ. وهنا يلفت نظرى نتائج إعداد «الشاذلى» الأب ابنته شهدان منذ الصغر فى شجاعتها ومثابرتها الدءوبة فى رحلتها الشاقة لصدر كتاب والدها برغم ما واجهته من صعوبات النشر ليحصد «الشاذلى» فى مساندتها حصاد تنشئته لها.

وبعد طول جهد صدر الكتاب (مذكرات حرب أكتوبر) واعتبر «الشاذلى» هذه المذكرات تاريخية وفريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة لقائد عربى معاصر، كتبها أسفا وغازبا ومكرها بعد أن قضى عمره كله جنديا فى خدمة بلاده، وأهداها إلى جنود وضباط مصر البواسل وعبر فيها عن فخره بكل يوم أمضاه بينهم رئيسا للأركان والذى تم خلاله التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربى ناجح ضد إسرائيل، وأشار إلى أن أجزاء القصة معروفة لآلاف الأفراد وبعضها يعرفها مئات وأجزاء أخرى لا يعرفها إلا أفراد يُعدون على الأصابع.

واختتم «الشاذلى» مذكراته عن حرب أكتوبر بالإشارة إلى الخطاب الذى وجهه إلى النائب العام المصرى وطالب فيه بمحاكمة السادات واتهمه بالإهمال الجسيم أثناء إدارة الثغرة، وتزييف التاريخ والكذب

وإساءة استخدام السلطة ضد «الشاذلى». واختتم الشاذلى طلبه بقوله: «والآن وقد أذيعت الأسرار كلها التى كان يخفيها السادات، فقد آن الأوان أن نجرى حوارا فى مصر نناقش فيه أخطاءنا ونحدد المسئول عنها لنعرف من هم أبطال حرب أكتوبر الحقيقيون».

وتم نشر الكتاب باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية فى دول كثيرة إلا مصر، وأغضب ذلك السلطات السياسية والقضائية فى مصر، وصبت مذكرات «الشاذلى» من جديد بمزيد من الزيت على نار الخلاف المشتعل بينه وبين السادات فزادتها تأججا واشتعالا.

الحكم غيابيا على الشاذلى بالسجن ثلاث سنوات

وكان من الصعب على السادات من موقعه رئيسا للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أن يتقبل ما جاء فى مذكرات «الشاذلى» من هجوم ضده، فجاء الرد من السادات بمحاكمة «الشاذلى» وصدر حكم المحكمة العسكرية غيابيا بالسجن ثلاث سنوات «للشاذلى» بتهمة إصدار كتاب عن حرب أكتوبر دون استصدار إذن كتابى من السلطات المصرية العسكرية بالنشر وهى تهمة لم ينكرها «الشاذلى».

وأما التهمة الثانية وهى إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه فقد رفضها «الشاذلى» بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرار حكومية وليست أسراراً عسكرية، ورأى أن الفرق كبير بين الاثنين، وبرغم ذلك صدر

الحكم غيايبا بسجن الشاذلى ثلاث سنوات ! وحرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية ووضع أملاكه تحت الحراسة . لكن «الشاذلى» لم يعترف بالمحاكمة لأنها أجريت غيايبا ، ولم يُخطر بها وعلم بها من الصحف ، ودفعه ذلك أن يستمر فى معركته ضد السلطة فى مصر مدافعا عن تاريخه العسكرى من خلال لقاءاته ومؤتمراته التى كان يشارك فيها ويجيب عن أسئلة الصحفيين حول مشكلته مع النظام فى مصر ، واتهم السلطة المصرية بالديكتاتورية لأنها لم تتح له فرصة الدفاع عن نفسه ، وأكد على براءته فى حالة محاكمته حذوريا .

وبدأ «الشاذلى» يواجه حربا إعلامية من إعلام وطنه مصر . عندما شنت الأعلام الصحفية التابعة للنظام فى مصر هجوما شرسا ضد الفريق «الشاذلى» واتهمته بمبالغته فى إحساسه بالظلم وكيّلت له التهم الباطلة منها اتهامه بأطماعه بالسلطة فى مصر وبالخيانة لوطنه (روزاليوسف فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٥م بعنوان الشاذلى معارض من أجل «كعكة السلطة») وصبت عليه أقبح السباب واللعنات تحت عنوان «الشاذلى فى زبالة التاريخ» (الأخبار فى ١٣ / ١٠ / ١٩٨١م بقلم وجيه أبو ذكرى).

(وفى الأخبار ٢١ / ١٠ / ١٩٨١م كتب موسى صبرى - الذى دافع عن الشاذلى من قبل - كتب بعد صدور الحكم بالسجن ضد الشاذلى يهاجم الشاذلى بشراسة ويصف كلماته بالسوقة والسفالة وانحطاط

الخلق ، واتهمه ظلما بإرسال متفجرات لترتيب أعمال إرهابية ضد مصر ، واتهمه بشماتته في قتل السادات ، وطالب في نهاية مقاله بلعنة السماء على الشاذلي الذي باع وانحنى حتى لامست جبهته عفن المستنقع).

وطالبت إصدارات أخرى بمقاطعة «الشاذلي» ووصفته بأبشع صفات لاتليق ببطل في الجيش المصرى يحمل رتبة فريق ، وكان يوما رئيسا لأركان الجيش المصرى والذي حقق تحت رئاسته لأركان الجيش أكبر انتصار عسكري لمصر والعرب في حرب أكتوبر ١٩٧٣م! وذلك في الوقت الذي كان فيه «الشاذلي» يتلقى دعوات من ملوك ورؤساء عرب منهم صدام حسين الذي كرر دعوته للشاذلي يدعو له للعمل في العراق تكريما لمكانته العسكرية في الوطن العربي ، لكن «الشاذلي» رفض كل العروض ولم يتراجع عن الدفاع عن نفسه لإثبات براءته.

ولكن كيف كان تأثير هذه الحرب النفسية ضد «الشاذلي» في حياته في الجزائر التي قضى فيها قرابة ١٤ عاما؟



الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر

كعادة

«الشاذلى» بعناده ضد ألم الظلم لم يترك لهومومه الثقيلة أن تنال منه بل سارت معركته مع النظام فى مصر مع ممارسته لاهتماماته الثقافية والسياسية وحياته الاجتماعية فى خطين متوازيين لا يؤثر أحدهما على الآخر، يحرسه فى ذلك إيمانه بالله وبأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه بشىء فلن يضروه إلا بما كتبه الله عليه.

وأصبحت قضية «الشاذلى» وصراعه مع السادات قضية رأى عام صالت فيها الأقلام الصحفية وجالت، ولم يكن أحد يعلم بالتحديد فى أى دولة كان يعيش «الشاذلى» بعد صدور الحكم ضده بالسجن ثلاث سنوات، وتضاربت الآراء ثم أجمعت على أنه يعيش فى ليبيا، ولكن الصحفية سوسن أبو حسين بمجلة أكتوبر عرفت بالصدفة من مسئول فلسطينى كانت تجرى معه حوارا بأمر إقامة «الشاذلى» بالجزائر فقررت فى جراءة صحفية أن تقوم بزيارته فى منفاه المختار بالجزائر، لتعرف منه حقيقة صراعه مع السادات والتي جمعتها فيما بعد فى كتابها (قصتى مع النظام) وكانت زيارتها «للشاذلى» تجربة صحفية خاصة قالت عنها:

(عندما سافرت إلى الفريق «الشاذلى» فى الجزائر عام ١٩٨٢م أتاحت لى فرصة التعرف إلى جوانب إنسانية أخرى فى شخصية الفريق «الشاذلى»، وبينما كنت أسجل آراءه بالورقة والقلم كان الفريق «الشاذلى» يطلب منى أن أكتب على مسطرة وبمسافات متساوية وبالقلم الرصاص والمحاة الجلد، وأن أحافظ على الهوامش وألا أقوم بالشطب فى أى فقرة ولكن أمحوها (بالأستيكا) حتى يبدو ما أكتبه مريحا فى الشكل والمضمون، إلى هذا الحد بلغت دفته، وكنت إذا خالفت تعليماته يرفض الحديث معى حتى ألتزم، والأكثر من ذلك أثناء تسجيلى لأحاديثه كان يقوم بتحفيظى لكل المصطلحات العسكرية ويشرح لى التشكيلات ونوعية الأسلحة وتعريفى بالفرقة والكتيبة والأرقام العسكرية، وعلمنى الفروق بين الأسرار العسكرية والمعلومات الحكومية، حتى إذا تحدثت فيما بعد عن حرب أكتوبر وأنا مدنية اتسم حديثى بالدقة مثل رجال القوات المسلحة وقد عانيت من صعوبة ذلك كثيرا، ولكنى التزمت واكتسبت بذلك العقيدة القتالية وصولا للحقيقة، ويرجع الفضل فى ذلك للفريق «الشاذلى» وكل ذلك أثرى تجربتى الخاصة معه فى الجزائر. كان الفريق «الشاذلى» مهتما بشغف شديد بأحوال العالم العربى مهموما بقضاياها وتمنى أن يكون العالم العربى كتلة واحدة، لكنه رأى أن حكام العرب هم السبب فى الفرقة بين الدول العربية، وأنه لن تتحقق تلك الوحدة التى نحلم بها إلا إذا تغيرت الأنظمة العربية، وبالفعل صدقت توقعاته

مع ربيع الثورات العربية في ٢٠١١م كان «الشاذلي» حريصا أن يشترك في إصدارات عسكرية أجنبية، يواظب على الاطلاع على ما ينشر فيها بانتظام للتعرف على الجديد في المجالات العسكرية، وكان يرى أن الانفتاح الإعلامي الذي أصبح عليه العالم أنهى فكرة الأسرار العسكرية وأصبحنا نطلع بسهولة على ما يجري في أي دولة في العالم وأنواع الأسلحة التي تستخدمها، وكان الفريق «الشاذلي» يعشق الكتابة وكان بارعا فيها وصدرت له مؤلفات.

وتستكمل سوسن أبو حسين حديثها فتقول:

على الرغم من الحياة المترفة التي وفرتها له السلطات في الجزائر فإن الفريق «الشاذلي» كان يعيش حياة بسيطة جدا يتناول فيها المأكولات الشعبية البسيطة (الكشري، الفول المدمس وغيرها)، وكان يتناول كوبا واحدا من الشاي أو الشاي بالحليب طوال اليوم، ولم يكن يدخل على الإطلاق، كان يستمتع بكل شيء دون إسراف وكان يمارس رياضته اليومية بانتظام المشي والسباحة. وكان يهوى أن يؤدي كل شيء بنفسه دون مساعدة أحد، فلم يستعن يوما بسائق خاص كلفته السلطات بخدمته، بل كان يقود سيارته المرسيديس بنفسه ويتنقل بها بين العواصم التي عمل بها.

وقد اصطحب «الشاذلي» زوجته السيدة زينبات السحيمي للإقامة معه، والتي كانت سرا من أسرار نجاحه، فكانت

تحتزم أسرار عمله العسكري ولا تسأله قط عنها، وكانت توفر له المناخ الذي يحتاجه عملا بنصيحة والدها الضابط متولى باشا السحيمي الذي كان مديرا للكلية الحربية وقت زواجها من «الشاذلي»، فعرفت أن الله تعالى لم يهب «الشاذلي» عبقريته العسكرية والإنسانية وحسب، ولكن وهبه أيضا الزوجة العظيمة التي نشأت في بيت عسكري لتنتقل بخبرتها الإنسانية زوجة في بيت الشاذلي، فحفظت أسرارها وأعانتها على ما لاقاه في حياته من أزمات. (إلى هنا انتهى حديث سوسن أبو حسين عن تجربتها الصحفية مع «الشاذلي» في الجزائر)

جوائز وشهادات من الجد .الشاذلي. لأحفاده

وكانت السلطات الجزائرية قد خصصت للفريق «الشاذلي» احتفاء بإقامته على أرضها فيلا فاخرة حولها حدائق واسعة وملاعب وحمّام للسباحة وسيارة خاصة وحرس خاص لحمايته، مزايا عظيمة ربما لا تتوفر إلا لرئيس دولة، واعتادت أسرة «الشاذلي» بناته الثلاثة (شهران وسامية وناهد الشاذلي) وأحفاده أن يقوموا بزيارته في الجزائر بالتناوب لقضاء إجازتهم معه وذلك خلال ١٤ عاما قضاها هناك، وكعادة الفريق «الشاذلي» كان يخطط ويرتب لكل شيء بدقة بالغة، ولأنه كانت تغلب عليه طبيعته العسكرية في دقته وفكره المنظم فكان يضع خطة لقضاء إجازة أحفاده معه في الجزائر ويحكي عن ذكرياته مع الجد «الشاذلي» في الجزائر حفيده رجل الأعمال كريم أكرم فيقول:

كنا نشعر بالتميز بمجرد وصولنا إلى مطار الجزائر، فقد كنت
واخوتي وأبناء خالتي في ١٩٨٥م وقت الزيارة أطفالا في سن العاشرة
والثانية عشرة، ووقتها جاء لاستقبالنا بالمطار حرس خاص لتوصيلنا
إلى البيت الفاخر الذى كان يعيش فيه جدى الفريق «الشاذلى» حياة
مترفة مثل حياة الرؤساء، وبرغم ذلك كان جدى يخبرنا منذ اللحظة
الأولى لوصولنا أننا سنعيش معه حياة بسيطة عادية، وأنا سنقضى
إجازتنا فى معسكر تدريبى وليس ترفيهى كما كنا نتوقع، كان جدى
ينتهز فرصة زيارتنا له لتعليمنا وتدريبنا على مهارات عدة، فيطلعنا
على جدول المهام والأعمال والتكليفات التى أعدها لنا والتى سنقوم بها
طوال مدة إقامتنا، وكان يضع لتنفيذها جدولا زمنيا يوميا دقيقا، فمننا
من كان يتولى تنظيف حمام السباحة، وآخر يتولى العناية بمزروعات
الحديقة، وآخر مهمته الاهتمام بالملاعب، والمهام بالتناوب والتبادل
كل حسب طاقته وعمره وقدراته وذلك برغم وجود خدم يمكنهم القيام
بهذه المهام أسرع وأفضل منا، لكن جدى كان يهوى تعليمنا الاعتماد
على النفس فى كل شىء من خلال هذه المهام، وكان يعلمنا النظام فى
كل شىء حتى فى تناول المشروبات والأطعمة؛ فكان يحدد لكل واحد
منا مشروبين فى اليوم ويترك لنا حرية اختيار وقت تناولهما. وكان
يحرص على تسجيل ذكرياتنا معه فى صور تذكارية كان يقاوم بها
مشاعر الغربة وتذكره بنا فى أيام البعاد.

ولازال الحديث للحفيد كريم أكرم:

وكان جدى يجرى بيننا المسابقات فى السباحة والتنس والرمية باستخدام بنادق الرش، وأطلق على هذه الألعاب تسمية (الألعاب الأولمبية) لتعدد ألعابها، أما الشطرنج فكان الجد «الشاذلى» يجمع لنا قصاصات الجرائد التى نشرت عن بطولة العالم فى الشطرنج وكانت قرابة ٣٠ قصاصة ويطلب منا قراءتها قراءة جيدة لنتعرف على تحركات القطع الفائزة قبل بدء اللعب وكان يشترك معنا فى هذه اللعبة، وكنا نخرج معه إلى الشاطئ ليعلمنا أهمية المد والجزر فى البحر وكيفية الاستفادة منه، وفى نهاية الإجازة قبل عودتنا إلى مصر كان يقيم لنا احتفالا صغيرا عند حمام السباحة يوزع فيه الجوائز وشهادات التقدير الموقعة باسمه وبها درجات التفوق كل حسب اجتهاده، لنحتفظ بها تذكارات لذكريات رائعة قضيناها معه أحفادا محظوظين مع «الشاذلى» الجد الرائع. (انتهت رواية كريم أكرم)

هكذا كان الفريق «الشاذلى» يتعامل فى حياته بكل جرأة وإصرار ونظام بالغ الدقة أينما كان، وهو يتطلع فى أيامه القادمة إلى يوم يعود فيه إلى وطنه وأرض انتصاراته فهل ستحقق له الأيام القادمة أمنيته؟



القبض على «الشاذلى» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلى فى غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير فى مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلى» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلى» إلى مصر، إذ كان «الشاذلى» قد أصابه ملل الغربية فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣ سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلى» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة. ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلى» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال يبنى بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلى» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولما طال انتظار أسرة «الشاذلى» لخروجه مع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسرته الاستعلام عن سر تأخره من مسئولين المطار فلم يجيبهم أحد، فأدركت أسرته أن شيئاً ما قد حدث له، فعادوا إلى منزلهم يبحثون فى الإذاعات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشاذلى» إلى مصر حتى عرفوا من إذاعة (مونت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السيدة زينات السحيمى بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابها عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها؟ وبعد ساعات جاءها الرد وعرفت أن زوجها الفريق «سعد الشاذلى» قيد التحفظ فى المجموعة ٧٥ مخبرات بعد مصادرة حقائبه بما فيها ملابسه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبه وصوره وأوراقه الخاصة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويات مكتبته الخاصة التى جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملفه فى رئاسة الجمهورية حتى يصعب الاطلاع عليه، وتحولت ذكرياته واجتهاداته وثقافته ومؤلفاته وكل شىء يخصه فى لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سنة من حياته قضاها بعيداً عن وطنه فى لندن والبرتغال والجزائر تمت مصادرة أوراقها فى لحظة، وكتبت جريدة الشعب بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشاذلى ومن

بينها سيارته المرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع ٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلى» ولا المسئول الذى وعده بالأمان عند عودته لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سيحرك القضية من جديد لما وجد فى رجوعه فرصة مناسبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلى» فكان القبض على «الشاذلى» وسجنه دون محاكمة بأمر من الرئيس مبارك مفاجأة للجميع ولل فريق «الشاذلى» نفسه الذى لم يكن بينه وبين مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلى الفور تحرك محامو «الشاذلى» وتحركت معهم المنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والرأى العام فى مصر، أسرع الجميع بالدفاع عن «الشاذلى» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس بإعادة النظر فى الحكم فالأمل كبير فى براءة «الشاذلى» إذا ما تمت محاكمته محاكمة عسكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس، وكذا رفض مساعى محاميه ومساعى كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن الشاذلى.

وانقسمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلى ومنهم من يبرئه، ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبر السجين) بقلم محمد أبو الفتح، وكتب يوسف سعد (الشاذلى المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله يا شاذلى)، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م)، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأهالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأقلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوئه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأقلام، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقتة ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعودة لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجيناً فى

وطن بطولاته، وحرمة التكریم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضى «الشاذلى» ثلاث سنوات قادمة من حياته داخل مستشفى السجن الحربى فى وطنه مصر! ليصبح بذلك أول رئيس أركان فى الجيش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى السجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشاذلى» بذلك حالة خاصة فى عقوبته كما كان حالة خاصة فى انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلى» وقتها فى لغز القبض عليه أن خلافه مع السادات كانت له مبررات، أما موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشاذلى»، فلم يحدث أى صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى سجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلى» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استسلم «الشاذلى» لقدره للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

فى سجنه: الشاذلى مريضا برغم أنه

فور دخول «الشاذلى» إلى السجن فى المستشفى الحربى ندد د. محمد حلمى مراد فى مقاله (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك) بالإجراء الذى اتخذته السلطات عند دخول «الشاذلى» المستشفى الحربى ليقضى بها مدة حبسه (ثلاث سنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنه

وكان الإجراء هو إخلاء مبنى المستشفى الحربى! ذلك المبنى المكون من دورين يتسعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنوع من الترويع له، ومع افتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضرر «بالشاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أسرته، وحذر د. محمد حلمى فى مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشرف راشد قد تولى وقتها رئاسة إدارة مستشفى السجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشاذلى» من قبل أثناء حرب الاستنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشير حسين طنطاوى تكريما وتمييزا للشاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشاذلى» هذه الفترة الحرجة من حياته مسجوناً؟

واسترسل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلى» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشاذلى» رجلاً قوياً وعسكرياً ملتزماً، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل السجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلى زنزانه سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصياً قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلى» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة سجنه، فلم يكن الفريق «الشاذلى» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة استضافة محددة، وبأمر من المشير طنطاوى تم تجهيز حجرته بأثاث خشبى كامل ومميز وكان بحجرته حمام خاص ومكتب وثلاجة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى سجنه خصصنا حجرة لاستقبال ضيوفه لكثرتهم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائد صنعوا تحت قيادته النصر لمصر، وكان من بين زواره حسين الشافعى وعبدالقادر حاتم وأحمد حمروش، وكان بحجرته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلي» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينات الرياضية اليومية في حجرة الرياضة المواجهة لحجرتة والتي تم تجهيزها خصيصا له حسب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للعجلة الرياضية لحساب الفاقد من وزنه بدقة، وكان يلتزم بنظامه الغذائي الصحي ويحرص على تناول وجبات خفيفة وصحية ومياه معدنية، وبعد الإفطار يطالع الجرائد اليومية ليتعرف من خلالها عما يدور من أحداث في مصر، وكانت مطالعته للجرائد غاية في الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التي كانت تكشف له عن الحالة الاقتصادية في مصر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على استخدام الورقة والقلم ليستخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويسجلها في أوراقه ليتمكن الرجوع إليها والاستدلال بها في كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واستفاد «الشاذلي» من مدة حبسه ليحقق رقما قياسيا في ختم المصحف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها في محبسه، وحرص «الشاذلي» على حفظ القرآن خاصة السور الطويلة منه، فكان يقرؤه

للعادة والتدبر والتفكر والدراسة، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلى» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه هاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسية، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسمى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلى» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلى» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلى» كان يحب العدل فى كل شىء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بالآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلى» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيصا لعلاج «الشاذلى» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلى» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلى» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلى» فى زهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أى سجين عادى.

ولازالنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فى ليلة من الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرقت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربما لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى رأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١ م .

وأمام اعتزاز «الشاذلي» بنفسه ويقينه من أنه على الحق رفض وبإصرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشاذلي» رفضا شديدا أن يُذل نفسه ويتنازل عن كبريائه ويطلب العفو من ظاله وهو برىء، فيكفى «الشاذلي» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشاذلي» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشاذلي» وانتصاره العسكري العظيم في حرب أكتوبر والتي كشفت عن رغبة مبارك في إزاحة «الشاذلي» عن أضواء النصر . ويعود اللواء أشرف راشد ليحدثنا هذه المرة عن يوم الإفراج عن «الشاذلي» فيقول :

جاء قرار العفو عن الفريق «الشاذلي» في ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعياد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على سجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل سجين إلا «الشاذلي» لم تفرحه فرحة الإفراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفوا خاصا للفريق «الشاذلي» بل كان عفوا عاما مع باقى المساجين لحسن السلوك وقضاء نصف المدة، فلم يداو ذلك العفو جرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذى أراده «الشاذلي». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف) فهل كان يليق بقائد عسكري فى قمة الفريق «الشاذلي» بعد ما لاقاه من ظلم وانتقام أن يأتيه العفو عاما مع باقى المساجين؟ هل يستوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيرا خرج النسر من محبسه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيها الحرية فى وطنه، ولم يثنه الإفراج عن تراجعه عن موقفه من السلطة حتى إنه أجرى فى يوم خروجه حوارا مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشاذلى» هو إصراره الشديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشاذلى» فى الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلى» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكرى المشرف فى خلافه مع الرئيس السادات، فلم يخسر «الشاذلى» شيئا بسجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسرت مصر رجلا من خيرة رجالها وعبقرية عسكرية نادرة كان يمكن أن يضيف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلى» متاعبه هذه المرة ليبدأ حياته الجديدة؟



الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج

أثناء عمله سفيراً لمصر فى البرتغال سافر الفريق «الشاذلى» إلى ألمانيا لشراء سيارة مرسيدس وحملها معه إلى مصر عند عودته فى مارس ١٩٩٢م وصادرتها الجمارك حتى فوجئت أسرته ببيع هذه السيارة فى المزاد، عن هذه الواقعة تقول شهدان الشاذلى:

«قام والدى بشراء هذه السيارة عام ١٩٧٦م عندما كان سفيراً لمصر بالبرتغال وسافر بها إلى أسبانيا لعقد مؤتمر صحفى انتقد خلاله اتفاق كامب ديفيد، وكان والدى يتنقل بها بين العواصم التى عمل بها، وأخذها معه إلى الجزائر وظل محتفظاً بها حتى عودته إلى مصر فى ١٩٩٢م، ووقتها صادرتها الجمارك المصرية وطالبت بجمرك أكثر من ثمن السيارة ولذا ظلت السيارة فى الجمرك حتى عام ١٩٩٥م، ف تبرع بها والدى للقوات المسلحة فطلبت الجمارك من القوات المسلحة دفع جمارك السيارة ولما لم تدفع القوات المسلحة فبقى الحال على ما هو عليه، حتى عرفت من إحدى صديقاتى أن السيارة معروضة للبيع فى مزاد فذهبت للمزاد واشتريتها ب ٦٠ ألف جنيه رغم أن ثمنها كان ٤٠ ألف جنيه، والحمد لله أن المزايد أمامى فى المزاد لم يكن يعرف أهمية هذه السيارة بالنسبة لى، ولم يعرف أن السيارة تخص الفريق سعد الشاذلى ولم يعرف أيضاً أنى ابنته».

وبعد خروجه من السجن عاد الفريق «الشاذلى» كعادته يمارس نشاطاته المختلفة ويستمتع بحياته، بدأها فى بلدته «شبراتنا» فى الغربية حيث بدأ بإعادة بناء بيته هناك على الطراز الحديث، وأقام مسجدا ومصحة ومشروعات أخرى خدمية لأهل بلدته، وظل محتفظا بنشاطه الذهنى وذكائه المتقد لآخر لحظة من حياته، فكان يضع لكل مشروع خطة حتى العزومات الكبيرة التى كان يقيمها للعائلة فى المناسبات كان يضع لإتمامها خطة بحسابات دقيقة يحدد فيها أصناف الأطعمة والمشروبات بما يلزم لعدد المدعوين بدقة متناهية، وكان يضع خطة لتوزيع زبيحة عيد الأضحى بالعدل بين فقراء بلدته، وكان يهتم فى هذه المرحلة من حياته بلقاءات الأهل والأقرباء لتوطيد صلات الأرحام، وعلى الجانب الآخر كان يتلقى دعوات حضور مؤتمرات ويكتب مقالاته فى صحيفة الشعب معلقا فيها على ما يجد من أحداث على الساحة العربية، وكانت بعض مقالاته تحمل تلك العناوين:

«إلى الذين يرقصون على أنغام العدو»، وعنوان آخر «لا أخشى على مصر من السودان»، وعنوان ثالث «بنود كامب ديفيد تمكن إسرائيل من احتلال سيناء فى ٢٤ ساعة» وحوارات أخرى حول ذكرياته العسكرية فى الحروب التى شارك فيها. وكان الفريق «الشاذلى» كاتبا بارعا يملك أدوات الكتابة وبراعة التعبير، وكانت له مؤلفات بعد مذكرات حرب أكتوبر (الخيار العسكرى العربى، الحرب الصليبية الثامنة)،

وكلها مؤلفات عسكرية كانت نتاج خبرته العسكرية، أما كتابه أربع سنوات في السلك الدبلوماسي فسجل فيها ذكرياته وخبراته الإنسانية وعلاقاته الدبلوماسية.

وظل على حاله ونشاطاته حتى وصل في ١٩٩٩م إلى عمر ٧٧ عاماً وأراد وقتها أن يجدد عهده مع الله بأداء فريضة الحج للمرة الثانية من حياته، وصحبه في رحلته إلى السعودية وقتها حفيده الشاب معتز عبد الرحمن، الذي قال عن ترتيبات جده «الشاذلي» للحج:

كعادة جدى في الترتيب لكل شيء بالدراسة والتخطيط وترتيب التفاصيل الدقيقة ووضع خطط دقيقة لكل شيء، قام بالترتيب لرحلته إلى الحج قبلها بشهر، فبدأ يزيد من مدة تدريبه اليومي على المشى لإكساب عضلاته المرونة اللازمة للجهد المطلوب بالمشى لمسافات طويلة في أداء مناسك الحج، وقام بدراسة خريطة لمواقع الحج في منى وعرفات ومزدلفة ومكة والدينة المنورة لتحديد المسافة التي تفصل بين هذه المدن بعضها البعض لتحديد الزمن اللازم لقطعها، واضعاً في حسابه كل الظروف الطارئة والمتوقعة مثل زحام الطريق أو تعطل الأتوبيس، لكل شيء عنده حسابات غاية في الدقة جعلته يحدد كمية الطعام اللازمة له أثناء التنقل بين هذه الأماكن المقدسة حسب طول المسافة، وكانت وجبته الخفيفة اليومية لا تتغير مهما تغيرت ظروف الإقامة حفاظاً على وزنه حتى لا تُعيقه زيادة الوزن عن أداء المناسك.

حتى عدد خطواته من محل إقامته إلى الحرم حتى وصوله إلى الكعبة كان يحسبها بدقة واضعا في اعتباره زمن الخطوة البطيئة بسبب الزحام حتى في منى مكان رمى الجمرات عندما حسب المسافة ووجدتها تفوق قدرته وكل حفيده «معتز» في رمى الحصى له تجنباً لمعاناة قد تفوق طاقته. وكان يجري دراسة مقارنة بين الحج الأول في شبابه والحج هذه المرة ليجد أن الفرق بين الرحلتين هائل خاصة أنه طاف في رحلته الأولى حول الكعبة على حمى ساخن كان يلهب أقدامه.

ويضيف الحفيد المهندس معتز عبد الرحمن:

كان المثل الأعلى للفريق «الشاذلي» بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) في عدله وحسمه وصرامته ودفاعه المستميت في الحق، وفي حرصه على إقامة قواعد راسخة لدولة المسلمين، واختيار الأصلح للمسلمين حتى ولو كان ضد مصالحه الشخصية، ومن المواقف التي لفتت انتباه «الشاذلي» في شخصية عمر ابن الخطاب هي توقيره للقرآن وحرصه على حفظه، فلما وجد صعوبة في حفظ القرآن قرر ابن الخطاب أن يحفظ سورة البقرة أطول سور القرآن واحتفل بهذا الإنجاز وقدم في احتفاله الذبائح. كل ذلك كان موضع إعجاب الفريق «الشاذلي» حتى إنه كان يتسابق مع حفيده في حفظ بعض سور القرآن في الحج، وكان مصحفه مميز بامتلائه بعلامات وتسطيرات بقلمه الرصاص يستدل بها في الحفظ والتلاوة، واستغل فرصة الحج لمراجعة القرآن مع حفيده.

وبالرغم من أن جدى كان بملابس الإحرام فإن الكثير من الحجاج المصريين والعرب والدعاة تعرفوا إليه وتجمعوا حوله يسألونه عن أسرار خلافه مع الأنظمة السياسية فى مصر، ويطلبون التقاط صور تذكارية معه، فكان يرفض المطلبين حتى لا يضيع جهده وطاقته بعيدا عن التركيز فى المناسك، مهمته الدينية التى جاء من أجلها.

ولازال الحديث للحفيد معتز عبد الرحمن:

وعاش جدى الفريق «الشاذلى» سنواته الأخيرة بنفس حماسه المعتاد، وكان يرى أن الدنيا برغم همومها ومتاعبها إلا إنها مليئة بالمهام الأخرى الممتعة، فكان كلما انتهى من مهمة صنع لنفسه مهمة جديدة تضيف إنجازا جديدا إلى حياته، فكان يهتم بأرضه الزراعية وأحوال الفلاحين القائمين على زراعتها، وكان يشترك فى مجلات أجنبية عسكرية ويهتم بمتابعة ما ينشر فيها من معلومات عسكرية، إلى جانب نهمة فى قراءة الجرائد اليومية المصرية والأجنبية. (انتهى حديث الحفيد معتز عبد الرحمن)

ولم يدر الفريق «الشاذلى» بعدما امتد به العمر حتى ٨٩ عاما ونالت الشيخوخة من صحته وبدأ الموت يقترب منه لينذر بقرب رحيله عن الدنيا، لم يدر أن مفارقات اللقطة الأخيرة من حياته ستكون أروع خاتمة لرحلته فى الحياة، فماذا رتب الله تعالى للفريق «سعد الشاذلى» فى وداعه يوم رحيله فى اليوم التاريخى لمصر فى ١١ / ٢ / ٢٠١١م؟

شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية

كانت المرة الوحيدة التى أعلن فيها البطل الفريق «سعد الشاذلى» استسلامه فى معركة مع المرض والشيخوخة، لم تهزمه الحروب والمعارك ولم يهزمه الظلم الذى وقع عليه ولم تتعبه الغربة وكثرة الترحال ولكن هزمته الشيخوخة بعدما نالت من صحته وقوته، وعندما اقتربت لحظات الرحيل بدأت الأقدار ترتب المشهد الأخير من حياة الفريق «الشاذلى»، قدر الله أن يأتى رحيل «الشاذلى» إلى مثواه الأخير فى الدنيا يوم تغيير التاريخ فى مصر، يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير فيما أسماه الثوار بجمعة الرحيل، التى تم فيها رحيل مبارك وتخليه عن رئاسة مصر.

فى هذا اليوم ترجل البطل «سعد الشاذلى» عن جواد إصراره الذى رمح به لسنوات طويلة داخل مصر وخارجها من الهزيمة والانكسار إلى التحدى والانتصار، ليعلن فى محطته الأخيرة استسلامه لمشيئة الله، لم يحدد «الشاذلى» موعد رحيله عن الدنيا ولم يحدد الرئيس مبارك موعد رحيله عن كرسى الرئاسة وتخليه عن الحكم، لكن الله تعالى حدد لكل منهما موعداً ليرحل الاثنان كل إلى مصيره فى يوم واحد وكأنه كان يوم القصاص «للشاذلى»؛ ففى الوقت الذى اصطف فيه آلاف المصلين

والمودعين والضباط أبطال أكتوبر خلف جثمان الفريق «الشاذلى» لتقديم تحية العرفان لقائد ملحمة النصر فى لحظات وداعه الأخير، اصطف أيضا ملايين الثوار فى الميدان التائر ميدان التحرير ليؤدوا صلاة الغائب لروح الفريق «الشاذلى» ويودعوه بكلمات تهز الشاعر (الله يرحمك يا شاذلى... أخذنا بثأرك يا بطل) وكأنهم يعتذرون للبطل عن ظلم وقع عليه يوما فى عصر الرئيس مبارك ، ويعاهدونه على مواصلة الكفاح من بعده.

ولما ارتفع الجثمان على أعناق رجال الشرطة العسكرية وتبعه جمهور المصلين من رجال الصاعقة والمظلات وأفرع القوات المسلحة، كان طابور المعزين يصعب فيه التفريق بين أهل «الشاذلى» وأقاربه وأسرته وبين ضباطه من رجال القوات المسلحة فى جنازة عسكرية وشعبية مهيبة والجثمان يتقدمهم على عربة عسكرية ملفوفا بعلم مصر، وفى مقدمة المشيعين عدد كبير من كبار رجال القوات المسلحة، وباقات الورد وحملة الأوسمة والنياشين حتى وصل إلى مستقره الأخير فى مقبرته، وبعد ذلك بساعات قليلة فى نفس اليوم تم الإعلان عن تخلى الرئيس حسنى مبارك عن رئاسة الجمهورية وانتقل بعدها إلى مستشفى شرم الشيخ قيد الإقامة الجبرية هناك... يا سبحان الله وكما تدين تدان، تماما كما أجبر الفريق «الشاذلى» من قبل أن يدخله ظلما مستشفى السجن الحربى ليظل فيها قيد الإقامة الجبرية.... اللهم

لاحول ولا قوة إلا بالله، لحظات قدرية لا يقوى على ترتيبها بهذا النسق الخارق إلا الله تعالى ولا أعتقد أن الفريق «الشاذلى» نفسه توقع أن يأتى رحيله فى يوم تاريخى فى حياة المصريين وينال فيه هذا التكريم الشعبى ويودعه المصريون فى جنازة مليونية مهيبه على النحو الذى تمت عليه.

وتروى شهادان الشاذلى عن برقية عزاء خاصة توقفت عندها وقالت: «تلقينا من رئاسة الجمهورية صباح جنازة والدى وقبل الإعلان عن رحيل مبارك عن الحكم بساعات قليلة تلغراف تعزية لنا (أسرة الشاذلى) يعتذر فيه الرئيس مبارك عن تخلفه عن حضور جنازة الفريق الراحل».

فهل كان الرئيس مبارك يعتذر فى هذه البرقية الحزينة عن حضور الجنازة وحسب؟ أم كان يعتذر للشاذلى وأسرتة عما ناله ونالهم من ظلم على يد مبارك وفى عصره؟، عندما كان مبارك على قمة السلطة وكان قادرا على تبرئة «الشاذلى» ولكنه تعسف وقتها فى استغلال سلطته وجدد الحكم الصادر ضد «الشاذلى» من قبل ، لم يعف مبارك عندما كان قادرا على العفو ولم يأمر وقتها بمحاكمة عادلة تُبرئ «الشاذلى» ولكنه أصر على سجن «الشاذلى» ظلما وبهتاناً ودون محاكمة. فهل تكفى برقية اعتذار لتضميد جروح أمة سُجن بظلمها ظلما فى وطنه ساحة انتصاره؟ وهل تشفع للرئيس مبارك برقية عزائه الآن فى يوم إزاحته من كرسى

الرئاسة بعد أن هلك عنه سلطانه وسلطته؟ وأعتقد أن ظلم مبارك للفريق «الشاذلى» كان سقطة كبيرة ووصمة عار فى تاريخ مصر العسكرى وفى حق الشعب المصرى من الصعب أن يغفرها أى اعتذار.

وظل الفريق «الشاذلى» حالة خاصة من البشر حتى يوم رحيله عن الدنيا فى يوم ١١ فبراير ٢٠١١م. وعبرت مصر عن عرفانها وتكريمها للفريق «الشاذلى» بعد رحيله ومنحته وسام «نجمة الشرف العسكرى» بعد رحيله بأيام فى فبراير ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر، كما وافق المسئولون فى نفس العام ٢٠١١م على نشر كتاب «الشاذلى» مذكرات حرب أكتوبر فى مصر والذى كان ممنوعا تداوله فى مصر من قبل، وفى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتسلمته أسرته.

وكانت أسرة «الشاذلى» قد طالبت بعد رحيله بالإفراج عن باقى مؤلفاته التى تمت مصادرتها مع كتبه ومقتنياته الثقافية وأوراقه الخاصة وصوره وذكرياته، وإعادة صورته إلى مكانها الصحيح فى صور حرب أكتوبر بين أبطال الحرب والقادة تصحيحا للتاريخ وكان لهم ما أرادوا فى عهد الرئيس محمد مرسى، وشاهد المصريون على شاشات التلفاز فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر صور الفريق «الشاذلى» فى

أفلام تسجيلية عن حرب أكتوبر مع السادات والقادة العسكريين في غرفة العمليات ومع جنوده على خط النار حقيقة مسجلة للتاريخ. وأعلنت وسائل الإعلام في ١٥ / ١٠ / ٢٠١٢م أن السيدة شهدان الشاذلي قد أهدت مذكرات والدها الفريق «سعد الشاذلي» إلى مكتبة الإسكندرية. وأطلقت القوات المسلحة اسم الفريق سعد الشاذلي على المحور الدائري بين مدينة العبور ومدينة الحرفيين.

ورحل الفريق «الشاذلي» عن الدنيا وظل اسمه خالدا في التاريخ العسكري المصري والعربي الذي سجل مع بطولاته ظلما عظيما وقع عليه، فالحق أبدا لا يموت والحقيقة مهما غابت لا بد لها أن تظهر جليلة للجميع بعدما تنقشع من حولها الغيوم. وها هي ذى الأيام تدور لتظهر مع دورتها الحق، وها نحن نكتب عن أمجاد الفريق «سعد الشاذلي» وبطولاته بعدما تحققت توقعاته المستقبلية التي كتبها بخط يده في مذكراته قبل أن يموت بعشرات السنين فقال فيها :

(أنا واثق أن مصر ستكرمني في يوم من الأيام عندما يعرف شعب مصر حقائق وأسرار حرب أكتوبر)

رحم الله الفريق البطل «سعد الشاذلي» وجزاه عن وطنيته وبطولاته وخدمته لوطنه وأمتة خير الجزاء.

ملحق الصور



7900

NAME AND RANK COL SAHD EL SHAZLY
NOM ET GRADE

NATIONALITY NATIONALITE	BORN NE LE	HEIGHT TALL	WEIGHT POUNDS	HAIR COULEUR	EYES YEUX	SCARS CICATRICES
----------------------------	---------------	----------------	------------------	-----------------	--------------	---------------------

EGYPT	1922	174	175	BLACK	BROWN	NIL
-------	------	-----	-----	-------	-------	-----



(SIGNATURE OF HOLDER)

(SIGNED BY DU PORT TELLER)

(FOR THE SECRETARY-GENERAL)

(FOR THE DEPUTY SECRETARY-GENERAL)









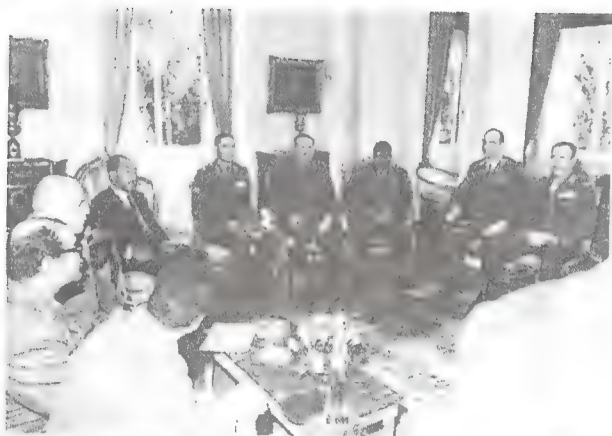










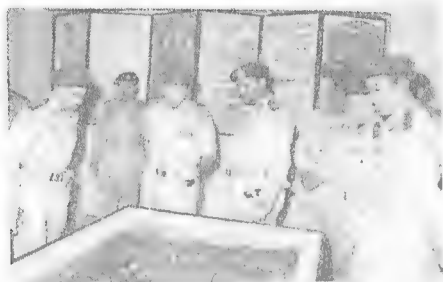


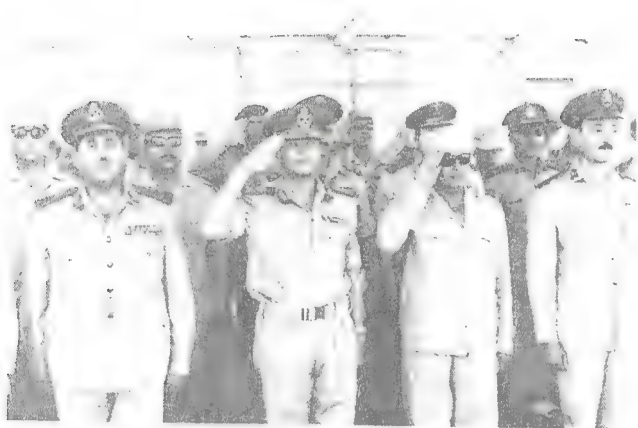
















المراجع

- روايات أسرة الفريق الشاذلى كريماته وأحفاده.
- روايات ضباط القوات المسلحة ممن عاصروا الفريق الشاذلى:
 - الواء د. إبراهيم شكيب.
 - الواء أشرف راشد.
 - الواء جمال مظلوم.
 - الواء محمد التميمي.
 - الفريق يوسف عفيفي.
 - العقيد يحيى الشاذلى.
- مقالات وأخبار صحفية عن الفريق الشاذلى.
- الموقع الخاص بالفريق الشاذلى على شبكة الإنترنت.
- (قصتي مع النظام) للكاتبة سوسن أبوحسين.
- (الفريق الشاذلى وأسرار الصدام مع السادات) - للكاتب محمود فوزى.
- مذكرات الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر.
- صور الكتاب مهداة من أسرة الفريق سعد الشاذلى.

تم بحمد الله

الكاتبة فى سطور

- آمال محمود البنا كاتبة صحفية بجريدة الأخبار.
- بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس.
- عضو نقابة الصحفيين المصريين.
- عضو اتحاد الصحفيين العرب.
- عضو اتحاد الكتاب المصريين.
- عملت فى أبواب الأخبار المتنوعة منها باب حكايات والصفحة الطبية وصفحة المرأة وجميع الأبواب الإنسانية. وكذا الإصدارات المختلفة (آخر ساعة وأخبار النجوم).
- برعت فى القصة الإنسانية وتخصصت فى كتابتها فى بابها الأسبوعى بالأخبار (لست وحدك) .
- مارست العمل التليفزيونى بنشاط متميز فى إعداد برامج ثقافية وسياحية للفضائيات المصرية.
- قدمت عدة أعمال أدبية منها :
«صوت تحبه الملائكة» وتم ترشيحه كعمل درامى فى التليفزيون المصرى.
«رسالة من الجنة» قصة واقعية لها مرجعية دينية أشاد بها فى تقديمها د. على جمعة مفتى الديار المصرية.
رواية «زهرة الخريف» والمجموعة القصصية «قصة وعبرة».
- للتواصل مع الكاتبة
«٠١٠٠١٥٦٢٨٦٠»

الفهرس

- إهداء..... ٠٠٥
- تنويه ٠٠٧
- سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى..... ٠٠٨
- قالوا عنه ٠١٢
- قبل الرحلة ٠١٣
- طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة ٠١٧
- مصر فى قلوب المصريين ٠٢١
- الشاذلى ضابطا بالحرس الملكى ٠٢٥
- الشاذلى قائدا لكتيبة المظلات ٠٣٣
- ثلاثة رجال فى بيت الشاذلى ٠٣٧
- الشاذلى يحدث أزمة دبلوماسية فى الكونغو ٠٤٣
- فى نكسة ١٩٦٧م: الشاذلى ينجح فى حماية قواته من العدو ٠٥٢
- حرب الاستنزاف علامة بارزة فى مشواره العسكرى ٠٥٩
- إبداعات عسكرية للشاذلى فى البحر الأحمر ٠٦١
- الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش ٠٦٥
- مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية ٠٦٩

٠٧٤.....	الشاذلى يضع خطة المآذن العالية
٠٧٩.....	أعظم أيام النصر فى مصر
٠٨٥.....	الفريق الجمسى يكشف حقائق جديدة حول الثغرة
٠٩١.....	إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش
٠٩٤.....	مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن
٠٩٨.....	المتاعب تلاحق السفير الشاذلى فى لندن
١٠٣.....	أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال
١١٠.....	الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة
١١٧.....	الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر
١٢٣.....	القبض على الشاذلى وسجنه بدون محاكمة
١٣٥.....	الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج
١٤٠.....	شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية
١٤٥.....	ملحق الصور
١٦٦.....	المراجع
١٦٧.....	الكاتبة فى سطور

**اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام
الاشتراك السنوى :**

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهاً.
 - الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولاراً أمريكياً.
 - الدول الأجنبية ٩٠ دولاراً أمريكياً.
- تسدد قيمة الاشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات.**
- بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة**

يُصدر
قريباً

■ التفكير الجماعي
د. إبراهيم المغازي

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٤٨٣٠
التقديم الدولي	ISBN ٩٧٨-٩٧٧-٠٢-٧٨٤١-٣

١ / ٢٠١٣ / ٩٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)